

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم النفس وعلوم التربية والارطوفونيا

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي:.....

## التصورات الإجتماعية للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجامعيين الجزائريين - دراسة ميدانية بجامعة عنابة-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس  
فرع علم النفس الإكلينيكي تخصص: علم النفس الصدمي

إشراف:

أ. الدكتورة جندي رواق عبلة

إعداد الطالبة:

ليلى شكمو

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	أ. د. الهاشمي لوكيا
مناقشة ومقررة	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذة التعليم العالي	أ. د. جندي رواق عبلة
مناقشا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	أ. د. بوكرزازة حسني
مناقشا	جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أستاذة التعليم العالي	أ. د. معاش يوسف

السنة الجامعية: 2005/2004

## كلمة شكر وتقدير

### الحمد لله

و الشكر والامتنان الخالصين لشخص الأستاذة المشرفة:

الأستاذة الدكتورة **جنيدي رواق عبلة**

على كل ما بذلته معي من مجهود كبير لإنجاز هذا البحث

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذة قسم علم النفس

بجامعة **قسنطينة** عامة

و إلى كل أساتذة الماجستير عيادي دفعة **2003** خاصة

وأخص بالذكر مثال التحدي الأستاذ **محمد شلبي**

ولا أنسى أن أشكر كل زملائي في الدفعة

على مساندتهم لي طيلة فترة تحضير البحث

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم علم النفس بجامعة **عناية**

وأخص بالذكر الأستاذة **بلخلفي نادية** والأستاذ **أحمد فاضلي**.

وكل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز

هذا العمل.

## مخطط البحث

1	..... مقدمة
3	..... إشكالية
<b>الفصل الأول: التصورات الاجتماعية</b>	
11	..... 1 – نشأة وتطور مفهوم التصورات الاجتماعية
15	..... 2 – مفهوم التصورات
15	..... 2 – 1 – تعريف التصور
16	..... 2 – 2 – تعريف التصور الذهني أو العقلي
17	..... 2 – 3 – التصور عند بعض العلماء
21	..... 3 – مفهوم التصورات الاجتماعية
21	..... 3 – 1 – تعريف التصورات الاجتماعية
25	..... 3 – 2 – خصائص التصورات الاجتماعية
27	..... 3 – 3 – دور التصورات الاجتماعية
29	..... 3 – 4 – إنتاج التصورات الاجتماعية بين الفرد والجماعة
31	..... 3 – 5 – تركيبة التصورات الاجتماعية
31	..... 3 – 5 – 1 – النواة المركزية
32	..... 3 – 5 – 2 – العناصر السطحية
33	..... 3 – 6 – صياغة وبناء التصورات الاجتماعية
33	..... 3 – 6 – 1 – شروط ظهور التصورات الاجتماعية
34	..... 3 – 6 – 2 – مراحل بناء وصياغة التصورات
35	..... 3 – 6 – 3 – آليات بناء التصورات الاجتماعية
35	..... أ- الترسيخ L'ancrage
38	..... ب- التوضيح L'objectivation
40	..... 3 – 7 – التصورات و التصورات الاجتماعية في العملية التعليمية-البيداغوجية
43	..... 3 – 7 – 1 – التصورات كأداة معرفية
45	..... 3 – 7 – 2 – التصورات كعائق بيداغوجي
46	..... 3 – 7 – 3 – الاتجاه التوفيقي
<b>الفصل الثاني: الكوارث الطبيعية</b>	
48	..... 1 – تعريف الكوارث
48	..... 1 – 1 – التعريف اللغوي
49	..... 1 – 2 – التعريف الاصطلاحي
50	..... 1 – 3 – تعريف الكارثة الطبيعية
51	..... 2 – تاريخ الكوارث

51	.....1-2- تاريخ الكوارث الطبيعية.
52	.....2-2- كوارث الحوادث الكبرى (التكنولوجية).
54	.....2-3- كوارث الحروب.
54	.....2-4- تاريخ الزلازل في العالم خلال 20 السنة الأخيرة.
57	.....3- تصنيف الكوارث.
58	.....3-1- التصنيف حسب سبب الكارثة.
58	.....3-2- تصنيف Berren و Beigel.
59	.....3-3- التصنيف حسب درجة الخطورة.
60	.....3-4- صور لبعض الكوارث الطبيعية.
61	.....4- مراحل وقوع الكارثة.
61	.....4-1- مرحلة الحالة السابقة للكارثة.
61	.....4-2- مرحلة الإنذار.
62	.....4-3- مرحلة الحدث (الواقعة) أو الصدمة.
64	.....4-4- مرحلة ردود الأفعال أو مرحلة الاستجابة.
65	.....4-5- مرحلة الانفراج.
65	.....4-6- مرحلة التعقيد.
66	.....5- مناهج و أساليب دراسة الكوارث.
66	.....5-1- تاريخ تطور الدراسات حول الكوارث.
70	.....5-2- مناهج دراسة الكوارث.
74	.....6- الآثار النفسية للكوارث.
75	.....6-1- الاستجابات الفردية.
76	.....6-2- الاستجابات الجماعية.
78	.....7- اهتمامات الهيئات العالمية بالكوارث.
<p>الفصل الثالث: الكوارث الطبيعية في مصادر الثقافة الجزائرية (محاولة تحليلية لنماذج من مصادر الثقافة الجزائرية)</p>	
81	.....1- تعريف الثقافة.
82	.....2- مظاهر الثقافة.
82	.....2-1- التقاليد.
82	.....2-2- الرمزية.
82	.....2-3- التكامل.
83	.....3- المظاهر النفسية للثقافة.
83	.....3-1- نسق القيم.
83	.....3-2- الإدراك.
84	.....3-3- المعايير والتوقعات الاجتماعية.

85	4-الكوارث الطبيعية في المصادر الدينية.....
86	4-1- ذكر الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم بصيغة التحذير.....
87	4-2- ذكر الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم على شكل عقاب إلهي.....
87	4-2-1- قصة قوم عاد.....
89	4-2-2- هلاك مدينة ثمود وشعبها.....
92	4-2-3- هلاك قوم لوط (سدوم وعمورة).....
97	5-الكوارث الطبيعية في الأسطورة الجزائرية.....
98	5-1-تعريف الأسطورة وأنواعها.....
100	5-2-الاتجاهات النظرية لتفسير الأسطورة.....
101	5-3-نماذج من الأساطير الجزائرية حول الكوارث الطبيعية.....
101	5-3-1أسطورة حمام المسخوطين.....
105	5-3-2أسطورة عنابة والبحر.....
107	6-الكوارث الطبيعية من خلال الإشاعات.....
107	6-1-تعريف الإشاعة.....
109	6-2-دوافع الإشاعة.....
109	6-3-الإشاعة والتصورات الاجتماعية.....
110	6-4-الإشاعة والكوارث الطبيعية.....
111	6-5-نماذج من الإشاعات حول زلزال يومرداس.....
112	6-5-1-الهارب من الموت.....
112	6-5-2-سر الطابق الأول.....

#### الفصل الرابع : الصدمة النفسية

115	1 - نشأة وتطور مفهوم الصدمة النفسية.....
115	1-1-البدايات الأولى.....
116	1-2- مرحلة الملاحظات الطبية.....
117	1-3- مرحلة القرن 20.....
120	2 - تعريف الصدمة النفسية.....
121	2-1- تعريف الحدث الصدمي.....
122	2-2- تعريف الصدمة النفسية.....
125	2-3-الصدمة النفسية حسب جمعية الطب النفسي الأمريكية.....
128	4 - النظريات المفسرة للصدمة النفسية.....
128	4-1- النظرية التحليلية والصدمة النفسية.....
128	أ - وجهة النظر الدينامكية.....
129	ب- وجهة النظر الاقتصادية.....
131	4-2- معالجة الأنباء:information processing.....

132	.....3-4- النموذج السيكولوجي
134	.....4-4- نظرية التعلم والإشراف
135	.....4-5- النموذج المعرفي
136	.....4-6- نظرية ويلسون وغموض الهوية
137	.....4-7- النموذج البيولوجي
139	.....5- وصف الخبرة الصدمية
140	.....النموذج الأول
142	.....النموذج الثاني
144	.....النموذج الثالث

### الفصل الخامس: المقاربة المنهجية والميدانية

146	.....I-المقاربة المنهجية
146	.....1-الدراسة الاستطلاعية
147	.....2-وسائل جمع البيانات
157	.....3-وسائل معالجة البيانات
	.....II-المقاربة الميدانية
163	.....1-عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة
163	.....1-1- عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة للمحور الأول
175	.....1-2- عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة للمحور الثاني
181	.....1-3- عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة للمحور الثالث
187	.....1-4- عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة للمحور الرابع
191	.....1-5- عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة للمحور الخامس
196	.....1-6- عرض وتعليق ومناقشة النتائج العامة للمحور السادس
200	.....2-عرض وتعليق ومناقشة النتائج حسب المتغيرات
292	.....- الخاتمة
294	.....- المراجع
	.....-الملاحق

## إشكالية الدراسة:

لا تخلو البيئة التي يعيش فيها الإنسان من التهديدات والمخاطر التي تبدأ بوقوع الضرر البسيط إلى تهديد حياته، ولكنه يدرك مع الوقت أن فرص نجاته أكثر من موته فتتسأ لديه فكرة الموت المؤجل إلى أجل غير مسمى، مما يكسبه إحساساً بالأمان على حياته و كينونته أو وحدته *intégrité* وتوازنه النفسي داخل المحيط الذي يعيش فيه. إلا أن اختلالات في توازن الطبيعة تارة و عدوان وظلم الإنسان تارة أخرى يضع الفرد أو جزء كبير من المجتمع إن لم يكن المجتمع برمته في مواجهة لا مفر منها مع مصائب وهزات (صددمات) في شكل أحداث عنيفة مهددة مدمرة... مجهدة أو ضاغطة *stressante* بقدر كبير إن لم تكن صادمة *Un traumatisme*.

تختلف هذه الأحداث من حيث الأثر الذي تحدثه فمنها: ذات الضرر المحدود: خسائر مادية وبشرية محدودة... مثل: حوادث الطرقات والحوادث المنزلية. والاعتداءات المنعزلة... وذات الأثر البالغ الذي يمس جزء كبير من المجتمع: خسائر مادية معتبرة، وتدمير شبه كلي، وعدد متزايد من الضحايا وإصابات خطيرة... مثل: الحروب، اختطاف الرهائن، الحوادث الكبرى، الأحداث الإرهابية والكوارث بكل أنواعها. وتعرف هذه الأخيرة أي الكوارث حسب 4 خصائص:

1. وقوع حدث مدمر (مفاجئ في الغالب)

2. يخلف عدد كبير من الضحايا

3. يتسبب في خسائر مادية معتبرة

4. يفوق قدرات قوات التدخل والنجدة المحلية

ويضيف إليها لوي كروك *LCrocq* -خاصية خامسة (*LCrocq* ص 392)

5- ينتج عنه اختلال واضح في النظام الاجتماعي

كما تصنف الكوارث حسب سببها علما أنه ليس التصنيف الوحيد:

1. الكوارث الطبيعية: الفيضانات، الزلازل، البراكين...
2. الكوارث التكنولوجية: الحرائق الكبرى، حوادث المصانع والطائرات والقطارات...
3. كوارث الحروب.
4. الكوارث المجتمعية: التي تؤدي بأرواح الكثير من الناس دون حادث مادي مثل التجمعات والمظاهرات ومواسم الحج...

تخلف الكوارث زيادة على الدمار والموت والإصابات الجسدية، صدمات أو هزات انفعالية Chocs émotionnels تنتج عنها ردود أفعال أو استجابات تختلف في مدى تكيفها وشدها والمدة التي تستغرقها. تنقسم هذه الردود إلى فردية وجماعية:

**الاستجابات الفردية:** تتمحور كل ردود الأفعال حول مفهوم الضغط أو الإجهاد stress وهي استجابة طبيعية وضرورية عند مجابهة أي تهديد أو خطر، في شكل رد فعل بيولوجي-فيزيولوجي-ونفسي منذر عن خطر ومعرض للتعبئة والدفاع، والتي تجعل الجسم في غاية الاستعداد للفعل لكنها يمكن أن مكلفة جدا على مستوى الطاقة إلى درجة الإنهاك أحيانا.

في الحالات التي يكون فيها الحدث ذو شدة كبيرة، أو الفرد الذي يتعرض له أكثر ضعفا (إرهاق، حالة وحدة، استعداد مرضي...) قد يستجيب الفرد باستجابة الضغط المتجاوز والتي يمكن أن توجز في أربعة عناصر:

— رد فعل الصعق Sidération يتمثل في التخدير العقلي، والتبليد العاطفي، والكف الإرادي

والحركي. حيث يبقى الشخص ساكنا وسط الخطر دون قدرة على التفكير والحركة.



— رد الفعل التهيجي Agitation المنبعث من الاندفاع للفعل من غير أن يكون الشخص قادر على إرسان دفاعات التكيف مع الوضعية. ويظهر على شكل حركات غير متناسقة بسبب الإثارة الزائدة.

— رد فعل الهروب المفزع fuite panique هروب منفرد أو جماعي مندفع و وحشي، حيث يتم الاعتداء على كل من يعترض طريق الهروب. مما يزيد درجة الخطر على الفرد نفسه والآخرين.

— رد الفعل الآلي Gestes automatiques يقوم الفرد بسلوكات وحركات تبدو في ظاهرها تكيفية لكنها دون هدف وعموما لا يتذكرها الشخص فيما بعد.

و سواء أكان الضغط تكفيا أو متجاوزا في ظروف الطوارئ، فإنها حالة تقع بعد الحدث مباشرة وممكن أن تتطور إلى التلاشي والزوال رويدا رويدا وأن يرجع الفرد إلى حالته الطبيعية خلال بضع دقائق إلى بضع ساعات، أو بعد فترة كمون ظهور أعراض مرضية تسمى زملة ما بعد صدمية Syndrome post-traumatique حسب المدرسة الفرنسية أو حالة الضغط ما بعد الصدمي Etat de stress post traumatique P.T.S.D حسب المدرسة الأنجلوساكسونية DSMIV.

**الاستجابات الجماعية:** عندما تحل الكارثة، تتجمع كل الأفكار والانشغالات الفردية لتصب في انشغال وحيد ناشئ عن الوضعية الجديدة الطارئة. لتنتج عنه نماذج سلوكية متماثلة:

قد تكون استجابات تكيفية مثل إخلاء مكان الكارثة في نظام و سلوكيات منسقة من أجل المساعدة والإغاثة وقد تكون غير تكيفية: منها الهروب الجماعي، حالة صعق جماعية، نزوح جماعي أو على عكس ذلك حركة عودة نحو مكان الكارثة مما يعقد ويعرقل عملية الإغاثة والإخلاء...

كما قد يحدث بفعل الكارثة على المدى البعيد تغييرات في اتجاهات وتقاليد وثقافة المجتمع

المصاب، وهو ما يعرف "ذهنية ما بعد الكارثة" (Mentalité post-catastrophique LCrocq) ص396).

قد تكون هذه ذهنية ايجابية مثال في اليابان يشارك السكان في تدريبات الوقاية والإغاثة وذلك في الفاتح من سبتمبر من كل عام إحياء لذكرى زلزال طوكيو ويوكوهاما في 1 سبتمبر 1923. ولكن قد تكون ذهنية سلبية مثل تقبل والاستسلام للكارثة كشر لا بد منه ورفض اتخاذ تدابير وقائية، أو ذهنية انتكالية مع معاش احتجاجي...

إن هذا التباين والاختلاف في ردود الأفعال بعد الكارثة سواء على المدى القريب أو البعيد، وعلى الصعيدين الفردي والجماعي يدعو إلى التساؤل:

— لماذا تختلف الاستجابات بين الأفراد والجماعات في مواجهة نفس الحدث؟

— لماذا يستجيب فرد أو جماعة ما (يختار ولو بطريقة لا واعية) هذه الاستجابة بالذات؟

— ما لذي يجعل استجابة معينة تظهر بكثرة في مجتمع معين وشبه غائبة في مجتمع آخر؟

يذكر محمد أحمد النابلسي في دراسة مقارنة قام بها دافيس Davis سنة 1945 بين استجابات الجنود في الحربين العالميتين الأولى والثانية ظهر أن الاستجابات الهستيرية الشائعة في الحرب العالمية الأولى قد تلاشت لتعوضها الاستجابات النفس-جسدية خلال الحرب العالمية الثانية (النابولسي ص 35-36). في نفس المرجع دراسة ثانية سوسيمي وباردينا ومانسو Sossimi Bardenat et Mançeau سنة 1949 أظهرت اختلاف الاستجابات الجنود خلال نفس الحرب حسب أصولهم العرقية وانتمائهم (إنجليز وهنود وجزائريين).

إن هذا التباين في ردود الأفعال ليس نتيجة فقط للعوامل المتعلقة بالحدث من حيث شدته والدمار ومشهد الموت واختلال النظام الاجتماعي الذي يخلفه... و لا العوامل الظرفية كالإرهاق والوحدة و التواجد العالي لعناصر هشة نفسيا داخل المجتمع أو مناخ سياسي واقتصادي غير آمن أو نقص في الإعلام... بل يسببه أيضا عوامل فردية واجتماعية تخص الأفراد مثل الاستعداد المسبق للمرض النفسي، علاقة الحدث بتاريخ الفرد... وخاصة التأويل والتصور الذي يسقطه الفرد ومحيطه الاجتماعي على الأحداث، لذا تقول أنا فرويد Anna Freud: "إن الحدث يكون صادم مرتين الأولى تكمن في الحدث نفسه، والثانية في التأويل الذي يحمله الفرد ومحيطه لهذا الحدث" ( B. Cyrulnik ص 50 )

قد يكون هذا التصور خاص بالفرد كعملية عقلية نفسية كما يعرفه ن. سلامي Norbet Sillamy على أنه ليس فقط صورة نحملها عن الواقع، بل بناء لهذا الواقع ناتج عن العمل العقلي. كما قد يكون مشتركا بين أفراد المجتمع الواحد أي تصورا اجتماعيا ( لا يمكن الفصل الكامل والدقيق بين الاثنين كما أن التأثير بينهما متبادل). حيث تعرف د.جودلي D.Jodelet التصور الاجتماعي كموجه ومحدد للسلوكات والاتصالات داخل المجتمع (D.Jodelet 1993 ص 36).

وحسب ابريك Abric يسمح التصور الاجتماعي للفرد كما للمجتمع إضفاء معنى لسلوكياته (J.C Abric ص 10).

لذا فالتعرف على التصور الاجتماعي لفرد أو لمجتمع ما في مواجهة حدث أو وضعية معينة يساعد على فهم و توقع ردود الأفعال الفردية أو الجماعية داخل هذا المجتمع، وجعل التدخل أكثر فعالية بحيث لا يقتصر على عمل الإكلينيكي الموجه للأفراد، بل كعمل يستهدف المجموعة في نسق تواصلها وشبكة علاقاتها داخل الظروف الصعبة والمعقدة contexte difficile. "... تتصب كل

الجهود المبذولة والإجراءات المتخذة من أجل تحسين السياسة الوقائية في حالة المصائب و الأحداث الصادمة ووضعيات الأزمة لتقادي وقوع الحدث أو التقليل من آثاره" ( Moser et Weiss ص332).

والمجتمع الجزائري بما يحويه من خصوصية ثقافية اجتماعية ومرجعية دينية و عادات وتقاليد وسط المناخ السياسي والاقتصادي السائد ( الانتقال إلى اقتصاد السوق، التعددية الحزبية والأحداث الإرهابية ) مرت به عدة كوارث طبيعية في الفترة الأخيرة:

- زلازل : زلزال الأضنام 1980، زلزال منطقة الجزائر العاصمة و بومرداس وبويرة 2003.

- فيضانات : فيضانات عنابة 1982 و باب الواد 2001.

أحوج ما يكون لهذه السياسات الوقائية والبرامج التي تسمح بالتدخل في وضعيات الأزمة المترتبة عن الكوارث الطبيعية في ضوء معطيات علمية حول كل الجوانب المتعلقة بالكارثة: الجانب البيئي الطبيعي، الجانب الاقتصادي...ومنها الجانب الاجتماعي والنفسي اجتماعي. وهذا ما نصبو للمشاركة فيه ولو بقدر بسيط من خلال هذه الدراسة للتصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية في المجتمع الجزائري.

وقد اخترنا حصر الوسط المدروس داخل جماعة مصغرة من المجتمع الجزائري وهو الوسط الطلابي الجامعي وذلك حتى يتسنى لنا ضبط متغيرات البحث بصفة تقترب من الدقة، حيث أننا لم نجد دراسات سابقة للموضوع داخل المجتمع الجزائري، وأيضا لما يتميز به هذا الوسط من جدية في التعامل مع البحوث العلمية أكثر من غيره.

وبعد دراسة استطلاعية حول التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجامعيين

الجزائريين:

لاحظنا انه مع وجود محتوى مشترك للتصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية بين الطلبة

الجامعيين الجزائريين ظهور تباين واختلاف بين تصورات الطلبة مما أثار لدينا تساؤلات:

- ما هو التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجزائريين؟

— ما هي مظاهر التباين والاختلاف بين تصورات الطلبة؟

— كيف يمكن تفسير هذا التباين في التصورات بين الطلبة؟

— ما هي العوامل التي تحدد هذا التباين في التصورات بين الطلبة؟

و لقد حددنا لدراستنا الأهداف Objectifs التالية:

**الهدف الأساسي الأول:**

معرفة التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية في الوسط الطلابي.

**الهدف الأساسي الثاني:**

التعرف على العوامل المؤثرة على التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة.

**الهدف الثانوي الأول:**

معرفة مدى تأثر التصور الاجتماعي للطلبة بمتغير الجنس.

**الهدف الثانوي الثاني:**

الوصول إلى معرفة تأثير عامل السن على التصور الاجتماعي للطلبة.

**الهدف الثانوي الثالث:**

معرفة مدى اختلاف التصور الاجتماعي للطلبة حول الكارثة الطبيعية باختلاف التدرج الجامعي.

**الهدف الثانوي الرابع:**

التعرف على تأثير التخصص على التصور الاجتماعي للطلبة حول الكارثة الطبيعية .

إن كل ما يصادفنا في محيطنا الذي نعيش فيه بما يحتويه من أشياء مادية وأشخاص وأفكار وأحداث وعلاقات و وضعيات سواء كانت بسيطة أو معقدة ... يشد انتباهنا بقوة، ويثير فينا تساؤلات عديدة حول ماهية هذه الموضوعات أو علاقتها بها أو علاقتها فيما بينها إلى غير ذلك من التساؤلات المختلفة. ويبرز ذلك بشدة على وجه الخصوص عندما تكون هذه الموضوعات المثيرة جديدة أو أن تكون المعلومات حولها غير كافية مما يحيطها بالغموض و يجعلها مبهمه، فيؤدي بنا ذلك إلى محاولة التعرف عليها و فهمها من أجل اتخاذ السلوكيات المناسبة والتصرفات الملائمة للإلمام بها وتطويعها والتحكم فيها ماديا وذهنيا. و لذلك يتم هذا التفاعل من خلال عملية ذهنية (عقلية) تساعدنا على إدراك ما يحدث من حولنا وتأويله من خلال تاريخ كل واحد منا ومعارفه السابقة ومعاشه وعلاقته بالآخرين...تعرف هذه العملية الذهنية بالتصور وهي تتم حسب د. جودلي D.Jodelet إشباعا لحاجة نفسية هي "التعرف من أجل التحكم" "savoir pour contrôler" (D.Jodelet 1993 ص31) واستجابة لرغبة إدراك العالم المحيط بنا من أجل التمتع فيه. ولكن مع وجود هذه الحاجة النفسية توجد حاجة أخرى وهي الحاجة إلى الإحساس بالانتماء للمحيط الاجتماعي والتواصل مع الآخرين، إذ أن الفرد لا يعيش لوحده في فراغ اجتماعي بل يتقاسم هذا الواقع الاجتماعي مع الآخرين الذين من خلال تفاعله وتواصله معهم سواء في وضعيات توافق أو صراع\_ يعتمد عليهم لفهم هذا الواقع وتعريفه والتحرك فيه، وذلك من خلال جعله واقعا موحدًا يسهل فيه التواصل عن طريق إنتاج تصورات مشتركة وموحدة حول هذا الواقع مصاغة حسب الأبعاد الثقافية والاجتماعية الخاصة بالجماعة الاجتماعية أو المجتمع الذي ينتمي إليه.

فمن خلال الاستجابة لهاتين الحاجتين النفسيتين وتحت الضغط الاجتماعي للجماعة الاجتماعية من أجل ضمان وحدتها وتناسقها واستمرارها يتم إنتاج التصورات الاجتماعية.

### 1 - نشأة وتطور مفهوم التصورات الاجتماعية

إذا كان استخدام مصطلح ومفهوم التصور حديثاً نوعاً ما فإن المفهوم في حد ذاته ليس جديداً، فلقد سبق استخدامه في الحقل المعرفي الفلسفي من طرف عدة فلاسفة منهم على سبيل المثال: Emanuel Kant (1724 - 1804) الذي قال: "إن معارفنا تتشكل من مواضيع ما هي في حقيقة الأمر إلا تصورات" (Sallaberry ص 16) وكذلك فإن فكرة التصور قديمة في حقل علم الاجتماع حسب موسكوفيتشي وهي ترجع إلى G.Simmel (1858-1917) و M.Weber (1864-1920) (S Moscovici 1993 ص 63-64).

و تعتبر مساهمة اميل دو كايم Emile Durkheim (1858-1917) تاريخية في تطور هذا المفهوم حيث أنه أول من أشار إلى هذا المفهوم بصفته الجماعية من خلال دراسته للديانات والأساطير والتي نشر نتائجها في مجلة "الميتافيزيقا والأخلاق" (1898) وقد ذكر الفرق بين التصورات الفردية وما سماه بالتصورات الجماعية collectives آنذاك في قوله: "إن المجتمع يشكل واقعا قائما بذاته... لذا فإن التصورات التي تعبر عنه لها محتوى مختلف تماما عن التصورات الفردية، ويمكننا التأكيد مسبقاً من أن التصورات الأولى تضيف شيئاً للتصورات الثانية" (S Moscovici 1993 ص 65).

وبعد دور كايم استخدم لوفي L.Levy مفهوم التصورات الجماعية لدراسة الفروقات بين

المجتمعات البدائية والمجتمعات المتحضرة (S Moscovici 1993 ص 68-69).

ولقد عرف مفهوم التصورات الاجتماعية اهتماما كبيرا مع منتصف القرن العشرين بعد تراجع وغياب، ولقد ظهر هذا التطور والاهتمام في شتى المجالات التي لها علاقة بالعلوم الإنسانية: الانثربولوجيا، التاريخ، اللسانيات، التحليل النفسي، علم الاجتماع، علم النفس الاجتماعي...

وفي فرنسا وفي مجال علم النفس الاجتماعي كانت الانطلاقة الحقيقية للدراسات حول هذا المفهوم على يد سارج موسكوفيتشي Serge Moscovici سنة 1961 في بحثه المعمق حول التصور الاجتماعي للتحليل النفسي عند المجتمع الباريسي، ولقد نشر نتائج أبحاثه في كتاب عنوانه "La psychanalyse son image et son public" سنة 1961 و أعيد نشره سنة 1976.

في إعادة صياغته لمفهوم التصورات الاجتماعية تناوله موسكوفيتشي بطريقة مختلفة ووضع في إطار مغاير نظريا ومنهجيا عما فعله دوركايم، حيث ركز على المظهر الدينامي للتصورات الاجتماعية، كان هدفه من البحث فهم وتحليل كيف تنتشر ظاهرة جديدة (التحليل النفسي كنظرية علمية جديدة) في ثقافة معينة داخل المجتمع، وكيف تتغير خلال هذه السيرورة (بأن تقبل منها أوجه كالشعور واللاشعور وتدمج في ثقافة المجتمع وترفض منها أوجه أخرى كالليبدو لأنها محملة ثقافيا بمعنى طاقة الجنسية) وكيف تغير بدورها نظرة الأفراد عن أنفسهم وعن العالم الذي يعيشون فيه (كدخول مفردات جديدة في اللغة المألوفة مثل الزلازل، العصاب، عقدة أوديب...). وركز اهتمامه على نشأة وتكون التصورات ومرورها من المستوى الفردي إلى ما بين الأفراد انتهاء بالمستوى الاجتماعي. حيث يقول: "انه كان من الضروري تحويل الاهتمام إلى التواصل الذي يسمح للمشاعر والأفراد بالالتقاء



والتقارب، بحيث يمكن تحويل شيء ما فردي أو شخصي إلى شيء اجتماعي والعكس بالعكس. فكلما اعترفنا بأن التصورات الاجتماعية هي مكونة (مولدة) و مكتسبة في آن واحد كلما نزعنا عنها الصفة التقليدية كونها جامدة وجاهزة مسبقا....بمعنى ضرورة اعتبار التصورات بمثابة ممر أو جسر بين العالم الشخصي والعالم الاجتماعي ودمجها في ديناميكية مجتمع متغير دوما....لم يعد المطلوب هو فهم التقاليد بل فهم التحديث الذي يحصل فيها ولا كون الحياة الاجتماعية جاهزة بل كونها حياة في طور النشوء" (Moscovici S 1993 ص 82).

وبذلك اتسع مجال البحث حول التصورات الاجتماعية أكثر فأكثر، فقد اهتم باحثون عديدون على اختلاف مشاربهم النظرية وطرقهم وأدواتهم المنهجية ومجالاتهم بهذا المفهوم الذي أوجد في علم الاجتماع ليتطور في العديد من الحقول العلمية الأخرى ابتداء بعلم النفس الاجتماعي إلى التربية، الصحة، العلوم الاجتماعية والعلوم المعرفية وغيرها...

وفي الحين الذي ركز فيه بعض الباحثين اهتمامه على إنشاء نماذج وصفية للتصورات الاجتماعية modèles descriptifs منهم كايس Kaes في دراسته للتصورات الاجتماعية للثقافة، وجودلي Jodelet في دراستين الأولى حول التصورات الاجتماعية لجسم الإنسان والثانية حول التصورات الاجتماعية للمرض العقلي، كما دراسة شمبار Chambart de Lawe حول التصورات الاجتماعية للطفولة. ركز آخرون على العلاقة بين التصورات الاجتماعية و التصرفات والسلوكيات الممارسة كدراسة أبريك Abric حول علاقة التصورات الاجتماعية بسلوكي التنافس والتعاون ودراسة سعدي لحو حول علاقة التغذية والتصورات الاجتماعية... مما أفرز تنوعا في الآراء والنتائج و وجهات النظر لا تقل أهمية فيما بينها.

وكما تعددت الظواهر موضوع البحوث فقد اختلفت أيضا مناهج البحث من البحث الميداني إلى الملاحظة بالمعايشة إلى البحوث المخبرية.

و مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات عرفت الأبحاث حول التصورات الاجتماعية انتشارا واسعا وتنسيق وتبادل علمي على مستوى كبير في مختلف أنحاء العالم حيث أن آخر إحصاء أو تجميع لما كتب حول كتاب التصورات الاجتماعية لجودلي (1989) بلغ 500 مرجعا سنة 1999. مما أفرز عدة تظاهرات علمية و ملتقيات وأيام دراسية دولية في جامعات ومراكز أبحاث ذات صيت عالمي نذكر منها على سبيل المثال (سيكا J-M Seca 2002 ص59):

- الملتقى الدولي الرابع. عصر التصورات الاجتماعية، بمدينة مكسيكو، من 25 إلى 28 أوت 1999.

- الملتقى الدولي حول التفكير الاجتماعي: تساؤلات حية، بمونتريال، أيام 29 و 30 أبريل والأول من ماي 1999.

وكذلك ظهور عدة مجلات و دوريات متخصصة مثلا سنة 1992 مجلة التصورات الاجتماعية " Papers on Social Representations " و سنة 1999 مجلة "علم النفس والمجتمع" "Psychologie et société" لسان حال المرصد الأوروبي للتصورات الاجتماعية.

## 2 – مفهوم التصورات

إن مفهوم التصور مشترك بين العديد من الحقول العلمية لذا فإن تعريفه تناوله والتطرق إليه قد تم من عدة أوجه مختلفة.

## 2 – 1 – تعريف التصور:

حسب المعجم العربي الأساسي لاروس: تصور، يتصور، تصورًا. تمثل صورته في ذهنه.

- في علم المنطق: إدراك المفرد أي معنى الماهية، وعكسه التصديق.
  - في الفلسفة: مجموعة الأفكار التي يتصورها الإنسان حول الكون والحياة.
  - في علم النفس: استحضار صورة شيء محسوس في العقل...
- و حسب المنجد في اللغة والإعلام: تصور الشيء أي توهم صورته وتخيله، والتصور هو صورة العقل.

يشارك المعجمين في أن التصور يتعلق بشيء محسوس وهو يتم من خلال الأفكار والتخيل والذهن أي العقل.

أما باللغة الفرنسية: فإن كلمة التصور Representation جاء من الكلمة اللاتينية Representare أي جعل الشيء حاضرا.

و يحدد معجم لاروس أن:

- في الفلسفة هذا المصطلح يعني: " ما هو عليه الموضوع في الروح "
- في علم النفس هو: " الإدراك، أو الصورة العقلية التي يكون فيها المضمون مرتبط بموضوع، موقف، مشهد... إلخ من العالم الذي يعيش فيه الفرد".

هنا نجد تحديد أكبر للعملية العقلية التي يتم من خلالها التصور وهي الإدراك

أما معجم الروبير Le Robert: "التصور هو أن نجعل من موضوع غائب أو مفهوم ما شيئاً محسوساً عن طريق صورة، إشارة...".

يبرز هنا حسب التعريف الأخير عنصر غياب أو غموض موضوع التصور الذي يعمق دائرة مفهوم التصورات.

من كل هذه التعريفات السابقة يمكننا تعريف التصور كالتالي: هو نشاط ذهني أو عملية عقلية يتم من خلالها استحضار موضوع أو مفهوم ما غائب عن طريق الترميز له بصور وإشارات ورموز... مرتبطة بمضمونه، كما قد يعني التصور منتج هذه العملية ذاته.

## 2 - 2 - تعريف التصور الذهني أو العقلي

التصور الذهني أو العقلي هو نشاط عقلي يرجع إلى إدراك شيء محسوس عن طريق شكل، رمز أو إشارة... وترتيبه ضمن المعارف السابقة، لإمكانية تفسيره وتأويله و كذا للتمكن من التواصل معه و حوله.

ويعتبر أيضاً "معنى كلاسيكياً تقليدياً مأخوذاً من الفلسفة وهو عملية تنظيم المعارف والأفكار وترتيبها وتحليلها حتى تجعل الفرد قادراً على تفسير الظواهر المحيطة به" (أحمد زكي بدوي ص 69-70).

كما يدل أيضاً على "إدراك فكري للواقع" (أحمد زكي بدوي ص 70).

يقول نوربير سيلامي في قاموسه " ليس التصور عبارة عن مجرد استرجاع صورة بسيطة للواقع المتصور، وإنما هو بناء وتكوين من خلال النشاطات العقلية، إذن فهو بناء عقلي للواقع" (نوربير سيلامي ص 1029).

يظهر لنا عبر تعريف قاموس نوربير سيلامي للتصور عدة أوجه تميز التصور وهي كونه أكثر من مجرد صورة أو إدراك للموضوع المتصور، وإنما هو واقع جديد يكونه الفرد حول الموضوع من خلال نشاطات العقل البنائية. و من هنا يتأكد لنا أن مفهوم التصور مكانة محورية يحتل في علم النفس المعرفي ولذا سنتطرق إلى هذا المفهوم عند بعض العلماء.

### 2-3 – التصور عند بعض العلماء:

لأن مفهوم التصورات وجد بين العديد من التخصصات في العلوم الإنسانية لذا تناوله الكثير من العلماء والباحثين بطرق متعددة ومتنوعة.

### 2-3-1 – التصور عند جون بياجي J.Piaget :

يعد بياجي من أبرز علماء النفس النمائي فهو من العلماء النفس القلائل الذين بنوا نظرية لنمو الذكاء والعمليات الفكرية، لذا فإننا لا نستطيع التطرق إلى مفهوم التصور عند بياجي إلا في نظريته الشامل والتي نقدمها في إيجاز.

لقد قدم بياجي النمو المعرفي من خلال زاويتين:

• الأبنية المعرفية Structures cognitives

• الوظائف المعرفية Fonctions cognitives

و يقصد بياجي من الأولى مجموعة التراكيب العقلية التي يستخدمها الفرد أثناء معالجته للموضوعات التي تحيط به. وهي موجودة في شكل مترابط و متكامل، وتتميز هذه الأبنية المعرفية بالتغيير والتطور مع الزمن نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة، ويتم هذا التطور حسب بياجي عبر 4 مراحل من التعامل بالمحسوس إلى التعامل بالمجردات.

1. المرحلة حس حركية.

2. مرحلة ما قبل العمليات المادية.

3. مرحلة العمليات المادية.

4. مرحلة العمليات للمجردة.

أما الوظائف العقلية فيرى بياجى أنها ثابتة لا تتغير عند الإنسان طوال حياته لكونها موروثية، وتتألف هذه الوظائف من:

- **التنظيم Organisation**: ويعني بالتنظيم قدرة العضويات على توقيف وتنظيم عملياتها الفيزيولوجية والسيكولوجية لتصبح أنظمة متناسقة ومتكاملة.

- **التكيف Adaptation**: وهي قدرة العضويات على إحداث تغييرات فيزيولوجية وسيكولوجية استجابة لتغيرات البيئة. ويتم كل ذلك من خلال عمليتين أساسيتين هما:

التصور Représentation و التلائم أو الموائمة Accomodation

وقد عرف بياجى التصور بأنه يعبر عن "الصورة الذهنية أو الاستحضار الرمزي للموضوعات والوقائع الغائبة بهدف التجريد (هكار ص 28) وبذلك للتمكن من الموائمة وهي معالجة وتكييف وتعديل ما لدى الفرد من أبنية معرفية على شكل استجابات تتلائم مع متطلبات العالم الخارجي وكذلك للتمكن من إضافة الخبرات الجديدة إلى مخزون الخبرات السابقة.

أما آليات التصور حسب بياجى فتتمثل في تحويل الخبرات الجديدة إلى خبرات مألوفة عن طريق تعديل المعلومات الجديدة الواردة من البيئة أو المحيط بطريقة تتناسب مع ما لدى الفرد من أبنية معرفية سابقة. وبذلك يظهر لنا من خلال نظرية بياجى أن الطفل أو المتعلم عموماً لا يمكنه أن

يعني أي خبرة جديدة أو يمنح معنى بسمح له بممارسة عملية البناء المعرفي إلا بالقدر ما عنده من المخزون الذهني أي التصورات التي يتوفر عليها في مرحلة ما من مراحل نموه.

و من هنا نتعرف على مدى ما لمفهوم التصور من علاقة وثيقة مع النمو المعرفي وعمليات التعلم عموماً و العملية التعليمية خاصة وهو ما سنتطرق إليه بالتفصيل في نهاية هذا الفصل.

## 2-3-2-التصور حسب برونير J-S-Bruner

اتفق برونير -وهو من أعمدة المدرسة المعرفية في الولايات المتحدة الأمريكية- مع بياجى من حيث أهمية التصورات في العمليات المعرفية والنمو المعرفي عموماً إلا أنه اختلف معه في طريقة تناوله لمفهوم التصورات.

فإذا كان بياجى قد أكد على وظيفة التصور في استحضار الوقائع و الموضوعات الغائبة، فإن برونير قد أكد على وظيفة التصور في الفعل المعرفي نفسه، وقد عبّر عن الأنماط السلوكية التي بمقتضاها يمثل الطفل ( المتعلم عموماً) عناصر البيئة المحيطة به بالإطار المرجعي للنمو المعرفي. وقد قسم مراحل النمو المعرفي حسب أنواع التمثيلات السائدة في تلك المرحلة والتي هي أساساً معتمدة على تصورت الطفل (المتعلم).

- **مرحلة التمثيل العملي:** وهي المرحلة التي لا تتم فيها بعض أشكال الفهم إلا عن طريق تمثيلها بالعمل، مثلاً قد يعجز طفل أن يصف لك بدقة المكان الذي خبأ فيه شيئاً ما ولكن يمكنه أن يأخذك إليه.

- **مرحلة التمثيل الإيقوني:** في هذه المرحلة تحل الصورة مكان التصورات العملية، فيمكن للطفل أن يرسم لك الطريق إلى المكان.

• **مرحلة التمثيل الرمزي:** وفيها تظهر القدرة على تصور وتمثيل الخبرات عن طريق الرموز

والكلمات وهو هدف النمو المعرفي عند برونر.

كما أن برونر يرى أن للبيئة دورا أساسيا في التصورات لدى الأفراد، ففي حين يتواجد فرد

في محيط يحفزها على تطوير الأنماط الثلاثة للتمثيلات يكون آخر في محيط يعيقه وقد يتسبب ذلك في

تأخر أو إعاقة بلوغ المستوى الرمزي.

نلمس من هنا المكانة المحورية التي يعطيها برونر للتصورات في البناء والفعل والنمو

المعرفي كموجه لأنماط السلوك التمثيلي للواقع المحيط.

### 2-3-4 التصورات عند فرويد:

كان مفهوم التصور سائدا في الفلسفة الألمانية قبل فرويد لكنه تناوله له كان بطريقة مختلفة، إذ

تحدث فريد عن "التصورات اللاواعية" مع ما يتضمنه ضم هذين المصطلحين من مفارقة لأن استخدام

التصور في النظرية الفرويدية لم يكن بالمعنى الفلسفي التقليدي كاسترجاع لإدراك سابق حول

موضوع ما أو كتصور ذاتي حول موضوع ما، ولكن باعتباره "كجانب من الموضوع الذي يدون في

الأنظمة الذكورية" (لابلانز و بونتاليس ص 180).

وقد احتل هذا المفهوم مكانة مركزية في نظرية فرويد بسبب دوره في تقديم النماذج النظرية

الأولى لتفسير حالات العصاب، إذ عمل فرويد على مقابلة هذا المفهوم أي التصور مع مفهوم العاطفة

وتحديد مصير كل منهما في العمليات النفسية لتفسير الأمراض العصابية معتمدا على الفرضية القائلة

بأن انفصال العاطفة عن التصور هو أساس عملية الكبت (لابلانز و بونتاليس ص 180) فيعرف كل

منهما مصيرا مختلفا عبر عمليتين مستقلتين هما "كبت" التصور و"قمع" العاطفة، ففي تفسيره



للهاستسريا مثلا يفرق فرويد بين العاطفة التي تنقلب إلى طاقة جسدية و يرمز إلى التصور المكبوت المرتبط بها إلى منطقة أو نشاط جسديين.

ولقد ميز فرويد بين مستويين من التصورات هما تصور الشيء وتصور الكلمة، ولهذا التمييز عند فرويد هدف ما وراء نفساني (لابلانث و بونتاليس ص 181). حيث يميز ارتباط تصور الشيء ارتباط تصور الكلمة المقابلة له نظام ما قبل الوعي-الوعي، خلافا لنظام اللاوعي الذي لا يدرك سوى تصور الشيء.

### 3- مفهوم التصورات الاجتماعية

من خلال ما تطرقنا إليه في النبذة التاريخية حول مفهوم التصورات الاجتماعية، يمكننا أن ندرك بسهولة أنه من الصعب جدا الإلمام بهذا المفهوم إماما دقيقا كونه مفهوما مركزيا في عدة تخصصات إنسانية تتناوله برؤى ومنهجيات مختلفة.

### 3-1- تعريف التصورات الاجتماعية

ظهر لمفهوم التصورات تعريفات عديدة وليس تعريفا واحدا متفقا عليه، ولكن لا يمنع ذلك من النقاء هذه التعاريف المختلفة في عدة نقاط تسمح بتقريب المفهوم كما يمكن أن نستخلصه من خلال التعاريف التالية:

1. "معرفة مصاغة اجتماعيا حول ظاهرة ما ومتقاسمة بين أفراد المجتمع (Jodelet D 1990

ص 360)

2. كما ينظر إليها "كتمثل وعرض لخواطر وأفكار وصور وآراء ومعارف موجودة ومصاغة

اجتماعيا" (أبريك: الإدريسي ص 36).

يشترك هذين التعريفين في جانبين أساسيين من التصورات الاجتماعية وهي:

• أولاً: أنها معارف وما قد يندرج تحت المعارف من معلومات و خواطر وصور وآراء

واتجاهات حول موضوع التصور مما يبرز الجانب المعرفي - الفردي.

• ثانياً: أن صياغتها وبنائها يكون على الصعيد الاجتماعي: أي أن العناصر المكونة

للتصور تكون مشتركة ومتقاسمة بين أفراد المجتمع مما يبرز الجانب الاجتماعي، كما أن التفاعل

بين هذه العناصر يتم حسب الأطر المرجعية الثقافية والقيم والمعايير السائدة داخل هذا المجتمع.

وبعبارة أخرى هي شكل من المعرفة المنتجة لدى الفرد ضمن الجماعة حول موضوع معين،

أي أنها مجموعة الصور والأفكار التي تنتج عن خبرات الفرد الشخصية، بالتنسيق مع تجاربه ضمن

الجماعة التي ينتمي إليها ويتفاعل معها ومن خلال مرجعيته الثقافية و الإيديولوجية.

3. من ناحية أخرى تعتبرها جودلي " شكل من أشكال المعرفة المصاغة اجتماعياً، ذات أهداف

عملية و تساهم في بناء واقع مشترك عند جماعة اجتماعية معينة". (D Jodelet 1993 ص36).

ويضيف تعريف جودلي شيئاً جديداً، وهو كون التصورات الاجتماعية تسمح برؤية وصياغة

واقع مشترك متقاسم بين أفراد الجماعة الواحدة مما يضمن ترابطهم فيما بينهم، وسهولة تواصلهم في

هذا الواقع. و ذلك لأن هذه التصورات تعكس تاريخ الجماعة أو تجاربها وتعبر عن المشاعر الجماعية

والأفكار المشتركة، وهي تعتبر عاملاً هاماً يساهم في تضامن المجتمع.

4. كما أنها: "معرفة المعنى الموحد" *connaissance de sens commun* أو التفكير الطبيعي،

معرفة اجتماعية مشتركة، تفسر لنا الأحداث والأفكار التي تصادفنا" (D Jodelet 1990

ص 360).

وفي هذا التعريف الأخير يبدو لنا خاصة أو وظيفة جديدة للتصورات الاجتماعية وهي أنها تشكل لنا نظاما تفسيريا مشتركا على مدى واسع داخل المجتمع، نعتمد عليه في فهم وتفسير ما يدور حولنا من أحداث في محيطنا الاجتماعي. فيبرز هنا دور التصورات الاجتماعية في تفسير الأحداث والأفكار مشكّلة بذلك خلفية مرجعية تسمح بترجمة كل ما يحدث.

5. ومن ثمة فهي تكوّن... شكل من التفكير الاجتماعي (Jodelet 1990D ص 361).

6. أو "رؤية وظيفية من عالم تمنح للفرد والجماعة أن يعطي معنى لسلوكه وفهم للواقع من خلال

نظامه المرجعي الخاص، وبالتالي يتكيف معه ويحدد مكانه فيه" (J.C Abric ص 11).

مما يساعد على توحيد المرجعية التفسيرية للمجتمع عن طريق إضفاء معاني مشتركة إلى حد

كبير على المواضيع التي تصادفنا سواء كانت أفكارا أو أشياء أو أشخاصا خاصة الجديدة منها.

7. و هي حسب جودلي أيضا "نماذج أو طرق تفكير عملية موجهة لفهم والتحكم و التواصل داخل

المحيط الاجتماعي، المادي والفكري" (Jodelet 1990 D ص 361).

إذا كانت التعاريف السابقة قد أمدتنا بخاصية التفسيرية للتصورات الاجتماعية إلا أن جودلي

في هذا التعريف تذهب إلى أبعد من ذلك من خلال خاصية جديدة أو بعد جديد وهو بعد التحكم في

المحيط والتواصل خلاله.

8. أما سارج موسكوفيتشي فيعرفها كما يلي: "عبارة عن أنظمة اجتماعية- معرفية والتي لها

منطق ولغة خاصة بها، وهي خلفية نظرية موجهة لفهم الواقع وترتيبه والتواصل خلاله في الحياة

اليومية، كما أنها تقوم بدور المرشد والموجه للفعل." (موسكوفيتشي: C Garnier et all ص 3).

مضيفا جانبا جديدا وهو توجيه السلوك والتصرفات وتحديد المقبول منها والمرفوض حسب المعايير

والإيديولوجية والثقافة السائدة داخل الجماعة الاجتماعية المنتجة لها. فهي معرفة منظمة مُنتجة لدى

الفرد بالتفاعل مع الجماعة حول موضوع معين والتي تتولد عنها تصرفات وخطابات. وبالتالي لم تعد التصورات الاجتماعية محصورة في الجانب المعرفي بل تتعداه إلى الجانب السلوكي الاجتماعي ولذا عرفها موسكوفيتشي بـ "الأنظمة الاجتماعية-المعرفية".

9. من كل ما عرفناه حول المفهوم قد نحصر التصورات الاجتماعية في كونها منتوجا *Produit* عقليا يتم صياغته عند الأفراد بالاعتماد على المرجعية الثقافية والقيم والمعايير السائدة داخل الجماعة التي ينتمون إليها، إلا أن التصورات الاجتماعية تعني أيضا السيرورة *Processus* التي تتم من خلالها عملية الإنتاج حيث أن تعريف مفهوم التصور نفسه كعملية عقلية أو ذهنية يتم من خلالها استرجاع موضوع غائب. ولذلك يعرفها ج.ك أبريك على أنها: "المنتوج والسيرورة في آن واحد للعملية العقلية التي يعيد من خلالها الفرد أو الجماعة بناء الواقع الذي يواجهه، وينسب له دلالات ومعاني معينة" (أبريك: J.M Seca ص40).

10. يتقارب مفهوم التصورات الاجتماعية مع عدة مفاهيم أخرى في علم النفس الاجتماعي قد تتشابه معه في بعض أوجه التعريف به ولكنها لا تتطابق معه تماما مثل: مفهوم الآراء و مفهوم الاتجاهات ومفهوم المواقف...ولكن كل هذه المفاهيم المرتبطة بموضوع التصور تكون محتواة داخل التصورات الاجتماعية لهذا الموضوع. لذا نجد ج.ك أبريك في تعريف آخر له يقول هي: "وحدة تضم كل المعارف والآراء و الصور والمواقف والاتجاهات كمحتوى واحد له علاقة بموضوع ما". ( J-C. Abric ص 32 )

من خلال التعاريف السابقة يمكننا استخلاص ما يلي:

• تعرف التصورات من خلال 3 جوانب أساسية:

1. أنظمة اجتماعية - معرفية منتجة اجتماعيا ومشاركة بين أفراد الجماعة.

2. لها هدف عملي وهو فهم و تنظيم المحيط والتحكم فيه والتواصل خلاله و كذلك توجيه

السلوكات.

3. تسمح برؤية واقع مشترك لجماعة اجتماعية معينة من خلال إعادة بناءه.

تتميز التصورات بـ:

- بأنها سيرورة ومنتوج في الوقت ذاته.
- أنها ليست مجرد صور لأنها تبعث بنا إلى شيء مستقر، وليست مجرد إدراك لأنه إعادة بناء للواقع.

- أنها تعتبر عاملا مهما في تضامن المجتمع لأنها تزود الجماعة بوحدها وصفتها الفريدة كتمثلات مشتركة تعبر عن الأفكار والمشاعر الجماعية. كما تميزها عن غيرها من الجماعات الأخرى.

- تحدد التواصل عبر الواقع المعاد صياغته بين أفراد الجماعة الواحدة وكذلك بين الجماعة وغيرها من الجماعات القريبة منها والبعيدة.

- إن ما يحدد التصورات هو القيم والمعايير و أنماط التفكير للجماعة الاجتماعية التي تنتجها.
- إلى جانب كونها مفهوما مركزيا في مختلف التخصصات الإنسانية، تكمن أهميتها في الحياة الاجتماعية من حيث كونها تجربة حول السيرورات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

### 3-2 - خصائص التصورات الاجتماعية

إن غنى مفهوم التصورات الاجتماعية وتعقد مظاهره وتعدد تعريفاته واختلاف طرق ومناهج البحث فيه تجعل أمر الإحاطة به صعبا. و لكن وجود معاني هامة وكلمات

معينة مشتركة في جل التعريفات تقريبا للمفهوم مثل: الفرد، الموضوع، الصورة، الإشارة، الرمز، الإدراك، المعنى، العملية أو النشاط، إعادة بناء الواقع، توجيه السلوك، التواصل... يسمح بالإلمام ببعض الخصائص الأساسية لهذا المفهوم.

وحسب جودلي يوجد 5 خصائص للتصورات الاجتماعية (Jodelet D 1990 ص 365).

**أ- لا يوجد تصور بدون موضوع:** لأن من أول شروط وجود التصور المعلومات حول الموضوع ولا يمكن وجود معلومات بدون وجود موضوع. ويمكن أن يكون هذا الموضوع عبارة عن شخص، شيء، حدث، نظرية إلخ... كما يمكن أن يكون ذو طبيعة مادية أو معنوية، وهو في علاقة تفاعل مع الفرد، وهذه العلاقة من أهم الظواهر محل الدراسة في التصورات الاجتماعية.

**ب- خاصية الصورية:** من خلال الصور التي تحتويها تساعدنا التصورات الاجتماعية على فهم العالم المجرد، وتحويل الأشياء المحسوسة والخواطر والأفكار والمفاهيم إلى أشياء قابلة للتبادل عن طريق الصور. ولكن لا يمكن اختصار هذا الجانب من التصورات في مجرد إعادة الواقع على شكل صور ولكن عن طريق استخدام الخيال الفردي والاجتماعي في إعادة بنائه.

**ج- خاصية الرمزية والدلالة:** يستعمل الفرد أثناء بناءه للتصورات مجموعة من الإشارات والصور والرموز... التي ينسبها لموضوع التصور يهدف الفرد من خلال ذلك أن يفسر الموضوع المتصور ويرمز له ويدل عليه، وبالتالي يعطيه معنى معيناً يمكنه من التحكم فيه والتفاعل معه، ويسهل عملية الاتصال حوله أو من خلاله إذ يشترك كل أفراد المجموعة في نسبة هذا المعنى لذلك الموضوع.

د- **خاصية البنائية:** كما نعلم أن التصورات ليست مجرد استرجاع لصور حول الواقع بل هي عملية إعادة صياغة لهذا الواقع وبناءه من خلال عمليات عقلية بالرجوع إلى تاريخ الفرد ومعاشه ومرجعياته القيمية والثقافية والاجتماعية. وكما يقول موسكوفيتشي "إن الفرد يعمل على إعادة نمذجة عقلية remodelage mentale للموضوع وأن كل واقع هو واقع متصور عن طريق امتلاك الأفراد والجماعات له وإعادة صياغتهم له عقليا و إدماجهم له في نظام القيم المرتبط بتاريخهم ومحيطهم الاجتماعي والإيديولوجي" (موسكوفيتشي: P Boggi-Cavallo et A .Lannaccone ص5).

هـ - **خاصية الإبداع:** إن عملية بناء التصورات لا تقتصر على إعادة إنتاج الواقع بل هي عملية إعادة تنظيم لعناصر هذا الواقع بطريقة مغايرة، كأنها عملية بناء لواقع جديد -متصور- أكثر ملائمة لمحيط الفرد والجماعة حسب مرجعيتهم و القيم والمعايير السائدة بهدف توجيه سلوكيات وتصرفات الفرد والجماعة وتسهيل التواصل فيما بينهم.

### 3-3 - دور التصورات الاجتماعية:

سواء كنا أفرادا أو جماعات فإننا ننتج تصورات اجتماعية باستمرار، ولكن لماذا ننتجها؟ وماذا تمنحنا هذه التصورات؟

#### 1. على المستوى المعرفي - العقلي:

تمكننا التصورات الاجتماعية من إدماج المعلومات الجديدة في إطار التفكير الموجود لدينا سابقا، مما جعل من التصورات مفهوما مركزيا في علم النفس المعرفي وإن كان هناك اختلاف حول طريقة تفاعل التصورات مع المعارف الجديدة إلا أنه متفق على أنها تمثل أطر مرجعية أساسية لا يمكن إدماج المعلومات الجديدة إلا من خلالها. وهذا ما أثبتته موسكوفيتشي في دراسته

المذكورة سابقا (1961)، وظهر كيف سمح التصور الاجتماعي للتحليل النفسي من إدماج هذه النظرية العلمية الجديدة في ثقافة وتفكير المجتمع الباريسي.

## 2. على المستوى بناء وتفسير الواقع:

تعرف التصورات الاجتماعية كشكل من أشكال المعرفة المكونة اجتماعيا حول الواقع بالاعتماد على نظام القيم والمعايير السائدة في ذلك الواقع. وتهدف إلى مساعدتنا على تفسير ما يحدث والتحكم في المحيط. إذ أن إدراج الموضوع الجديد داخل الإطار التفكيري المسبق يمر ببعض التحويلات أو التعديلات على العناصر المكونة للموضوع لتقارب التصنيفات الموجودة سابقا Catégories مما يسهل فهم الموضوع. بصيغة أخرى يمكن تعريفها كطرق لتفسير وإعادة بناء وتنظيم للواقع بطريقة ملائمة لمرجعيتنا الثقافية والأيدولوجية.

## 3. على مستوى توجيه السلوكيات والتصرفات:

ينجم عن التصورات الاجتماعية مجموعة من الآراء والمواقف والاتجاهات حول الموضوع عبر ما تحمله من دلالات ومعاني والتي تساعدنا على التمتع بالنسبة لموضوع التصور على بالتوجه الملائم في محيطنا، وتبني السلوكيات والتصرفات المناسبة.

يوضح ج.ك أبريك هذا الجانب بحيث يعتبر "أن التصورات الاجتماعية تعرف لنا

ما هو مسموح به وما هو ممنوع داخل محيط اجتماعي ما" (أبريك، 1997، ص12)

## 4. على مستوى الانتماء الاجتماعي:

إن توافق تصوراتنا الاجتماعية وتلائمها مع النظام القيمي للمجتمع الذي نعيش فيه يؤدي إلى

تأكيد انتمائنا لهذا المجتمع وهي تُنتج جزئيا استجابة لحاجة الإحساس بالانتماء. حيث تتحدث جودلي



عن الانتماء أو الانضمام الاجتماعي " L'affiliation sociale " بحيث اعتبرت أن الاشتراك في الأفكار واللغة هو تدعيم للروابط الاجتماعية وتأكيد للهوية و الانتماء الاجتماعي. (جودلي 1991 ص51)

### 5. على مستوى الممارسات الاجتماعية:

بما أنها تمثل إطارا مرجعيا مشتركا فإن التصورات الاجتماعية تسمح لنا بتبرير تصرفاتنا ومواقفنا كأفراد داخل الجماعة الواحدة وخاصة إذا تعلق الأمر بالجماعات الاجتماعية فيما بينها. وهذا ما أكده أيريك بأن إعتبر "للتصورات دور جديد ألا وهو دور التدعيم والمحافظة على الموقف الاجتماعي للجماعة الاجتماعية المعنية" (أيريك 1997، ص18)

فالفرد داخل الجماعة الاجتماعية التي تؤمن بالقدرات الخارقة للأولياء الصالحين مثلا يجد كل التبريرات لممارسته لبعض الطقوس كزيارته للأضرحة وحضوره الزرد... بينما لا يكون ذلك سهلا ومقبولا داخل جماعة غير مؤمنة بذلك أو ربما قد تحارب الظاهرة.

### 3-4 – إنتاج التصورات الاجتماعية بين الفرد والجماعة

إن التصورات الاجتماعية باعتبارها عملية إعادة بناء ذهنية عقلية للواقع فهي مرتبطة بالميكانيزمات العقلية والنفسية للفرد الذي ينتجها، مما يجعلها صياغة خاصة فريدة تحمل بصمة وأثر صاحبها، مما يضيف عليها صفة الإبداع و الفردانية، ولكن الأفراد بديها وحتما موجودون داخل محيط اجتماعي و إطار مشترك مع الآخرين وليسوا معزولين معرفيا مما يجعل تصوراتهم تصورات ذات صبغة جماعية.

ومن هنا يمكننا تعريف التصورات الاجتماعية على أنها إنتاج عقلي فردي حسب نموذج اجتماعي معين.

فحسب جودلي: "التصورات الاجتماعية هي مجموعة منظمة من الآراء والاتجاهات والمعتقدات والمعلومات المرتبطة بموضوع معين أو وضعية ما، يحددها تاريخ الفرد ومعايشه من جهة والنظام أو النسق الاجتماعي والإيديولوجي الذي ينتمي إليه من جهة ثانية ونوعية الروابط التي يقيمها الفرد داخل هذا النظام الاجتماعي من جهة ثالثة." (D Jodelet 1990 ص 371-372).

مما يدل على أن التصورات هي أيضا منتج اجتماعي منطلقه التصورات الفردية الممكنين للجماعة الاجتماعية، فالتصورات الاجتماعية إذن من جهة منتج فردي داخل فضاء اجتماعي، ومن جهة أخرى منتج جماعي لشركاء acteurs اجتماعيين.

كما أنه من أهم خصائص التصورات الاجتماعية أنها تسمح بتقديم ملتح تعريف لجماعة اجتماعية معينة وتمييزها عن غيرها و مقارنتها بسواها من الجماعات، وذلك كونها مشتركة أو متقاسمة اجتماعيا بين أفراد الجماعة على مدى واسع.

وخلصا يمكننا التأكيد على أن التصورات الاجتماعية تتموضع بين المجالين النفسي والاجتماعي، وهي ناتجة عن الجدلية القائمة باستمرار بين الجهاز النفسي والنظام الاجتماعي، وهي كما وصفها موسكوفيتشي عبارة عن جسر بين العالمين الفردي والاجتماعي.

## 3-5- تركيبة التصورات الاجتماعية :

إن التصورات الاجتماعية لا تتشكل من مجموعة من العناصر المتعلقة بالموضوع المتصور فحسب بل هي زيادة على ذلك يجب أن هذه العناصر تتفاعل و ترتبط فيما بينها بطريقة متناسقة ومتناغمة مما يسمح للتصورات بالوحدة والاستقرار. مما يسمح للتصورات بان تتشكل حول معاني مركزية مكونة بذلك نواة دلالية.

بعض هذه العناصر لها دور أساسي في تشكيل التصور و تعريفه إذ لا يمكن أن يتم الدلالة على التصور بدونها، بينما يبقى بعضها الآخر يبقى سطحيا يشير إلى خصائص أو صفات ثانوية للتصور. والتي تظهر في الممارسات اليومية.

لذا فإن التصورات الاجتماعية من حيث التركيب تحتوي على مكونين أساسيين:

-النواة المركزية  
-العناصر السطحية

## 3-5-1- النواة المركزية:

تسمى أيضا بالنواة الصلبة أو النواة المشكّلة، وهي تتكون من العناصر التي إذا تغيرت تغير التصور .

أ-تعريفها: تتشكل النواة المركزية من العناصر التي تعطي معنى ودلالة للتصور والتي تكون مشبعة بالنظام القيمي للجماعة الاجتماعية. وهي تلك العناصر المتعلقة بـ:

- طبيعة موضوع التصور.
- علاقة الفرد أو الجماعة بموضوع التصور.
- نظام القيم والمعايير.

وتعتبر النواة المركزية الجزء الأكثر ثباتا نسبيا واستقرارا في التصور والأصعب تغييرا بسبب أنه تبرز فيه الذاكرة الجماعية للجماعة، وعليه فإن الأبحاث والدراسات حول تحديد النواة المركزية شكلت أكبر اهتمامات الباحثين والعلماء.

#### ب- دورها:

تحدث النواة المركزية ديمومة واستمرار التصور الاجتماعي لأنها ثابتة ومتاغمة، كما يمكن أن نلمس من خلالها وحدة و توافق الجماعة الاجتماعية وتقاربها.

ويمكن تلخيص دورها في نقطتين أساسيتين:

- تمنح معنى وقيمة لمختلف عناصر التصور.
- تحدد الروابط بين مختلف عناصر التصور.

#### 3-5-2-العناصر السطحية:

أ-تعريفها: رغم أن هذه العناصر تبدو أقل أهمية من النواة المركزية إلا أن لها مكانة ودورا أساسيا في التصورات، إذ أنها تمثل Interface بين النواة المركزية والوضعية الممارسة المادية الواقعية التي تصاغ وتعمل فيها التصورات.

تتأثر هذه العناصر بتاريخ الأفراد وتجاربهم الخاصة ومعاشهم، لذلك نستشف من خلال العناصر السطحية ملامح اختلاف أفراد الجماعة وجانب التغاير والتنافر داخلها.

#### ب- دورها:

تساعد على تبني الأفراد للتصورات الاجتماعية وجعلها أكثر خصوصية أو فردانية أو

شخصانية Personnalisation.

ويمكن من خلال هذا النظر إلى أدوارها فيما يلي :

- وجودها بين النواة المركزية والوضعية في الواقع يجعلها ترشدنا لما يجب أن نفعله (سلوك) وما ينبغي أن نقوله (موقف)
  - تسمح بإدراج وإدماج عناصر جديدة في التصور، وهي بذلك تلعب دور حماية النواة المركزية من التغيير وتسمح ديناميكية التصور بإدراج الجديد.
- عموما فإن العناصر السطحية هي في حالة حركة وتغير وتطور وتكيف مستمر كلما تغيرت معطيات المحيط.

### 3-6- صياغة وبناء التصورات الاجتماعية

بما أن التصورات الاجتماعية ليست مجرد إعادة موضوع أو واقع غائب عن طريق استحضاره ذهنياً، بل هي عملية إعادة بناء لهذا الواقع بالاستعانة بالخيال الفردي والاجتماعي وبالرجوع إلى نظم وقيم ومعايير المجتمع. فكيف يتم هذا البناء؟ وما هي السيرورات التي يتبعها هذا البناء؟

#### 3-6-1- شروط ظهور التصورات الاجتماعية

هل تنتج التصورات الاجتماعية في كل الأحوال أم لها حالات خاصة؟ حسب موسكوفيتشي لها ثلاثة شروط:

- **المعلومات:** لابد من وجود معلومات كافية حول موضوع التصور والذي يجب أن يكون واسع الانتشار وكثير التداول بين أفراد الجماعة. وكلما كانت المعلومات حول الموضوع قليلة أو غير ذات مصداقية بحيث يزداد عنصر الغموض كلما لجأ الفرد كما الجماعة لإنتاج التصورات لإتمام الصورة.

• **مجال التصور:** ونعني به اختيار أوجه أو جوانب من الموضوع وإبرازها مع إغفال جوانب أخرى منه وهو ما يعبر عنه بفكرة تنظيم المحتوى على شكل وحدة هرمية للعناصر المكونة للموضوع، ويختلف مجال التصور من جماعة إلى أخرى وذلك استجابة للقيم والمعايير السائدة داخل الجماعة. (دراسة موسكوفيتشي سنة 1961 حول التصور الاجتماعي للتحليل النفسي لدى المجتمع الباريسي).

• وجود الاتجاهات سواء كان بالسلب أو بالإيجاب متعلقة بموضوع التصور، يحتم ظهور التصور الاجتماعي حول الموضوع بسبب حاجة الجماعة لهذا التصور لاستخدامه في ممارسة ضغوطها لتوحيد الاتجاهات بين أفرادها من جهة، وللدفاع عن مواقفها واتجاهاتها في مقابل الجماعات التي لا تتوافق معها في الاتجاه حول موضوع التصور من جهة أخرى.

### 3-6-2- مراحل بناء وصياغة التصورات

تمر التصورات الاجتماعية كصيرورة بعدة مراحل أثناء تكوّنها لتصل إلى شكلها النهائي المتغير كمنتوج اجتماعي مكونا لواقع مشترك للأفراد مشبعا بالمرجعية الثقافية والإيديولوجية للجماعة وموجها للسلوكات والتصرفات. وحسب موسكوفيتشي توجد أربعة مراحل:

• **مرحلة مرور الموضوع إلى النموذج الصوري modèle figuratif** بحيث يجمع الفرد أو يستنبط المعلومات حول الموضوع، يربتها ويدرجها في الذاكرة وتسمى هذه المرحلة أيضا بمرحلة انتزاع الموضوع من المحيط decontextualisation.

● مرحلة المرور من النمط الصوري إلى التصنيف، يكتسب النموذج الصوري صفة التأكيد (الترسيخ) إذ يصبح هو الواقع بالنسبة للفرد، فيستعمله في تصنيف الموضوع مع الموضوعات الموجودة في إطاره المعرفي مسبقا، ويفسر من خلاله الواقع.

● مرحلة المرور من التصنيف إلى النموذج النشط *actif* بعد أن يصبح التصور مرجعا تفسيريا للواقع يتحول في المرحلة اللاحقة إلى موجه لسلوكياتنا ومرشد علاقتنا بالآخرين.

● **مرحلة التبلور:** يكتسب التصور في هذه المرحلة استقرارا وثباتا يمنحه نوع من الصلابة يترتب على ذلك انتظارات وتوقعات حول موضوع التصور وما يتعلق به من تفاعل معه أو حوله مع أفراد المجموعة الاجتماعية.

### 3-6-3- آليات بناء التصورات الاجتماعية

كما أن بناء التصورات يمر بمراحل متدرجة فهو أيضا يتم عبر عمليات معينة مثل إدماج المعلومات وترتيبها والتصنيف الموضوع... تتناغم هذه العمليات وتتناسق من خلال سيرورتين أساسيتين هما الترسيع *L'ancrage* و التوضيح *L'objectivation*.

#### أ- الترسيع *L'ancrage*

وهي عملية أساسية يتم من خلالها إدماج عناصر من معلومات الجديدة حول موضوع غير معروف ضمن شبكة من التصنيفات المعرفية الموجودة مسبقا. كما تشير هذه السيرورة إلى الكيفية التي يدرج بها الموضوع الجديد داخل نظام التفكير القائم و ضمن المجال الاجتماعي المتحول باستمرار، إذ أن الترسيع كسيرورة لا يقتصر على المستوى المعرفي فحسب بل يشمل مستوى الاتجاهات و السلوكات وذلك بسبب شمول مفهوم التصورات الاجتماعية لكل هذه الأبعاد في آن واحد. من خلال سيرورة الترسيع وصف موسكوفيتشي كيف تم إدماج صورة التحليل النفسي في

النظام المعروف من التصنيفات القائمة وأنماط الأشخاص والأحداث الموجودة (جون ريشارد وآخرون ص128). وتظهر سيروية الترسخ من خلال ثلاثة مظاهر:

- **المعنى:** خلال سيروية الترسخ يضاف على الموضوع المتصور معنا ودلالة من طرف المجموعة المعنية بالتصور، من خلال هذه المعاني تظهر للموضوع الهوية الاجتماعية و الثقافية للموضوع المتصور لأن المعاني المعطاة للموضوع تكون مصبوغة ثقافيا وقيمية و متوقعة من تصنيفات المعاني الموجودة سابقا ضمن نظام المعاني المعروف لدى الفرد والجماعة الاجتماعية. وبالتالي فإن نسق المعاني يتشكل عبر التصورات من خلال سيروية الترسخ، لقد ظهر في دراسة موسكوفيتشي أن الممارسة الاجتماعية للتحليل النفسي كنظرية جديدة في المجتمع الباريسي تنسب بطرق متباينة إلى أقسام أو أصناف Categories اجتماعية لا يكون لها نفس التقدير مثلا: الأغنياء، الفنانين، النساء... وذلك حسب الروابط المفترض وجودها بين التحليل النفسي وهذه الأقسام الاجتماعية من خلال المعاني التي أضفيت على هذا المفهوم (D Jodelet 1993 ص 51).

كما أن نفس الموضوع الجديد يكتسب معاني مرتبطة بالإيديولوجية السائدة داخل المجتمع أو حتى داخل الجماعات الاجتماعية المختلفة باختلاف فلسفاتها الفكرية، كما أشار إلى ذلك موسكوفيتشي: "أن الموضوع الجديد يفسر في كل مرة وفقا لفلسفة الحركة الفكرية والإيديولوجية السائدة في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع، فتصورات الكاثوليك والشيوعيين متباينة..." (Moscovici 1990 ص 372)

- **استعمال التأويل:** إن العناصر المكونة للتصورات لا تقوم بالتعبير عن العلاقات داخل المجتمع فحسب بل تعمل على إنشاءها من خلال تأويل الأفراد لهذه العناصر الجديدة لتشكل وسيطا بين الفرد ومحيطه وبين أفراد الجماعة الواحدة خاصة في حالة الصراعات التي لاتخلو منها عملية إدراج الموضوع الجديد. وتخلق لغة مشتركة بين أفراد المجتمع حول الموضوع تسمح لهم



بالتواصل وتعطي نماذج تصنف من خلالها الأحداث والسلوكيات المرتبطة بالموضوع المتصور مشكلة بذلك نسقا مرجعيا مشتركا يفرض نفسه على الواقع بعد إدراج الموضوع الجديد فيه. فالقد تحول التحليل النفسي مثلا بعد إدماجه في المجتمع الباريسي إلى نظام تفسيري ولغة جديدة تحكم التواصل بين الأفراد مثلا: أن يصنف شخص على أنه معقد complexe بعد إدماج مفاهيم التحليل النفسي في المعارف السابقة (ج.م سيكا ص 62).

فيتم ترسيخ التصور عن طريق استخدام تأويل عناصره، ويمكن اعتبار الترسخ مساو لبتحويل عناصر التصور إلى وسائل L'instrumentalisation (ج.م سيكا ص 67)

• الإدراج ضمن نظام التفكير الموجود سابقا: ويتم ذلك عن طريق استئصال أو امتلاك appropriation الموضوع الجديد وتصنيفه داخل الإطار التفكيرى المرجعي السابق، مما يحتم المرور بالعمليات التالية: جعل العناصر الغريبة من التصور (الجديد) مألفة familiarisation de l'étranger وتحويل بعض العناصر inversion كما تعديل بعضها الآخر ليصبح موافقا للمعايير normalisation، ويبدو ذلك جليا في بحث موسكوفيتشي من أن التحليل النفسي في بدايته قد قورن أو قرب من بعض الممارسات الاجتماعية أكثر تواجدا مثل الاعتراف في الديانة المسيحية السائدة في المجتمع confession chrétienne (ج.م سيكا ص 66).

ويمكن أن يكون إدراج الموضوع الجديد بطريقة مختلفة تماما حيث أنه قد يحدث أن يترتب على إدماج موضوع التصور عملية هز أو مساس altération للإطار المرجعي التفكيرى السابق، إذ أنه قد يكون تأثير الموضوع الجديد قوي جدا لدرجة أن عمليات تصفية عناصره قبل إدماجه لا تكون ناجحة مثل أن يكون الموضوع: كارثة أو وباء أو نكبة اقتصادية... فتتغير الذهنيات نفسها نتيجة تأثيره الشديد.

## ب- التوضيح L'objectivation

يعرف التوضيح على أنه العملية التي من خلالها يتحول المجرد إلى ملموس أو مجسد، وهي التي تحول التفاعل في المعلومات العلمية إلى صور أشياء فمثلا في التصور الاجتماعي للتحليل النفسي تحولت الديناميكيات النفسية إلى عقد أو وحدات مرضية أو تشوهات نفسية malformation يمكن للخبير إزالتها تماما مثل أي تشوهات جسدية، وتحولت طاقة الليبدو إلى مجرد عاطفة أو أحيانا إلى علاقة جنسية بين المحلل والمحلل، ويعرفه موسكوفيتشي: " التوضيح هو الإزالة تدريجيا لكم مبالغ فيه من الدلالات عن طريق تجسيدها" (Moscovici 1990 ص 367).

"Objectiver , c'est résorber un excès de significations en les matérialisants"

من خلال التوضيح يتمكن الأفراد من امتلاك أو استدخال الظواهر والمعرف خاصة المعقدة منها كما تسمح لهم ببناء أو صياغة حد أدنى من المعرفة الموحدة Savoir commun التي تشكل قاعدة تمكنهم من إبداء آرائهم والتواصل فيما بينهم.

وتتم سيرورة التوضيح من خلال ثلاث عمليات مرحلية:

• **الانتقاء:** وهي عملية التصفية للمعلومات التي يتفاهها الفرد حول موضوع التصور مما

يؤدي إلى تغييرات وقلب وحذف أو زيادات لبعض المعطيات كما إحداث تقييمات وإزالات وإضافة كما تحية بعض الانتسابات لعناصر الموضوع كي توافق الإطار التفكيرى الموجود سابقا وكذلك المرجعية الثقافية والأيدولوجية والقيم السائدة مثلما تغيرت بعض المعطيات حول التحليل النفسي خلال هذه السيرورة بأن تقبل منها أوجه كالشعور واللاشعور وتدمج في ثقافة المجتمع وترفض منها أوجه أخرى كالليبدو لأنها محملة ثقافيا بمعنى طاقة الجنسية (موسكوفيتشي )

وها الانتقاء الذي يمارسه الأفراد ينتج تبعا لإحساسهم بالإستدخال أو بالإمتلاك للموضوع appropriation والذي لا يتم إلا عبر عملية أخرى تصاحبها و هي انتزاع عناصر الموضوع من الإطار المرجعي décontextualisation وذلك يتم في حالة النظريات العلمية مثلا بتجريدها من كل ما يجعلها غير متاحة inaccessible و غير قابلة للتبادل بين أفراد المجتمع وهو ما عبر عنه روكيبلو Roqueplot بالسيرورة الملازمة لانتشار نتائج الأبحاث العلمي وأكد على ضرورة الإنتباه لذلك عند التدريس العلمي (J-C Richard et all. ص 139).

- تكوين النموذج أو المخطط الصوري: وهو تكوين أو انتاج صورة تحمل معنا متناسقا متناغما بالنسبة للفرد المنتج لها. هذه التركيبية الجديدة لموضوع التصور هي أساس تبلور التصور حيث تكسبه وحدة في المعنى منتظمة ومتناسقة تجعلها أكثر قابلية للتدوال والتفاعل، بحيث تنتج عنها تجسيدا وتبسيطا للموضوع أو الظاهرة المتصورة مما يجعل مجموعة المفاهيم المتعلقة بالموضوع ملائمة للأفراد المنتجين للتصور، كما حدث في تصور الطاقة النووية بعد كارثة تشانوفيل هذه الطاقة التي يلفها الغموض و السرية الكاملين، بحيث تصورها البعض أو صورها على شكل فطر ذري champignon atomique وتصورها الأطفال (صورها) على شكل سحب إشعاعية (J-M Seca ص 63).

- التطبيع Naturalisation: وهي العملية التي من خلالها يتم إلحاق صفات وخصائص (طبيعية) بعناصر التصور والتي لم تكن في الأصل منها، مما يسهل تداولها كأشياء داخل الواقع الاجتماعي. وتضرب لنا جودلي مثلا على ذلك حول عناصر التحليل النفسي بقول: "اللاشعور قلق" "L'inconscient est inquiet" وكيف أن الجهاز النفسي يتحول إلى مجرد جهاز متأثرا بالمقاربة

التقنية للتيار التجريبي السائد آنذاك، وكيف تحولت مفاهيم التحليل النفسي إلى نظريات مستقلة تمنحنا تصنيفا للسلوكيات (J-M Seca ص 64).

في هذه المرحلة يأخذ النموذج أو النواة الصورية صفة الحقيقة البديهية بأن تتحول إلى الواقع بالنسبة إلى الأفراد والمجموعة المنتجة لها، وتتسج حولها باقي عناصر التصور. فيمر التصور إلى مرحلة توجيه السلوكيات. وحسب موسكوفيتشي فإن عناصر هذه النواة هي الأكثر تكرارا في الإجابات المتحصل عليها حول التصور حسب موسكوفيتشي (J-M Seca ص 69).

وبالتالي فإن عملية التوضيح هي عبارة عن تصفية وانتقاء وترتيب للمعلومات في شكل وحدة دلالية متناسقة و التي تساهم في عملية البناء الاجتماعي للواقع، ومنها يأخذ كل فرد تصوره للواقع بما يحتويه من أشخاص و أحداث وأشياء دون أن يكون متعارضا مع الواقع الاجتماعي.

و داخل هذه العلاقة الجدلية التي تقوم بين صيرورتيوزنتلب الترسيخ والتوضيح يتم على مراحل بناء التصورات الاجتماعية عبر حركتين أساسيتين: المرور من مستوى المعلومات إلى النموذج الصوري ثم المرور من ذلك إلى مستوى توجيه التفكير والسلوك.

### 3-7- التصورات و التصورات الاجتماعية في العملية التعليمية-البيداغوجية.

إن تعريف التصورات الاجتماعية كمعرفة مصاغة اجتماعيا أو كأنظمة معرفية-اجتماعية ينم على مالها من أهمية في التعلم عموما و في الأنشطة التعليمية أو الديدالكتيكية على وجه الخصوص. حيث أنه تبين أن التصورات أو المعارف المسبقة أو القبلية تشكل قاعدة هامة في السيرورة التعليمية، على اعتبار أن المتعلم ليس صفحة بيضاء تملأ بالمعلومات الجاهزة من طرف المعلم، وأن كل فرد يحمل نسقا من التصورات الصريحة والضمنية التي تسمح له بمواجهة ومعالجة الوضعية / المشكل. وأنه في المقابل يحدث خلال العملية التعليمية تعديلات وتغيرات في محتوى التصورات الاجتماعية

للمواضيع المتعلمة لتتكون تصورات أخرى جديدة معتمدة على تفاعل المعلومات العلمية الجديدة مع التصورات المسبقة.

وفي ذلك يقول باشلار Bachelard: "غالبا ما اندهش من سلوك الذين يتصورون أن الفكر البشري يبدأ تعلمه كما نبدأ درسا " (إدريسي ص 33).

فالمتعلم ينطلق من تصورات معينة مسبقة-ضمنية أو صريحة- إلى تصورات جديدة أخرى ذات قوة تفسيرية أكبر مما يمنح التصورات خاصة مهمة وحيوية وهي خاصة الدينامية مما جعلها تتحول إلى إستراتيجية من إستراتيجيات الممارسة البيداغوجية.

ويعود الاهتمام بالتصورات إلى بداية السبعينات (إدريسي ص34) لما لاحظها القائمون على ميدان التكوين المستمر من أن فئة الكبار يحملون معلومات أولية تشكل نظاما تفسيريا عاليا غالبا ما يدفعهم إلى مقاومة المعارف الجديدة أو إساءة فهم الخطاب الجديد مما يؤدي إلى تحويره. ومنذ ذلك الحين برز الاهتمام بالتصورات كنموذج ذهني وثقافي أي فردي-اجتماعي والذي هو حصيلة لتاريخ اجتماعي وثقافي بالتفاعل مع المعارف الجديدة، أو بعبارة أخرى كبراديجم Paradigme ديداكتيكي هذا البراديجم الذي يفرض نفسه في كل وضعية تعليمية. لذا توجب العمل في الدراسة والبحث حول التصورات والاتجاه إلى معرفتها عن طريق فتح المجال للإفصاح والتعبير عنها، وبالتالي فالحديث هنا عن التصورات و دورها ووظيفتها وكذا تحولها أثناء عملية التعلم عموما والممارسة البيداغوجية خاصة وكيفية تفاعل مكوناتها المعرفية مع محتوى المعارف العلمية الجديدة خلال صيرورة التعلم، يشملها بنوعها الذهني (الشخصي) والاجتماعي إذ أنه لا يمكن فصل المكون الاجتماعي الثقافي عن باقي مكونات التصورات.

من الباحثين الذين اهتموا بدور التصورات وتوظيفها في النشاط البيداغوجي نجد: باشلار Bachelard، بارلت Barlett، أستولفي Astolfi، فينو Viennot، دوفنتشي Devicchi، جيوردان Giordan، تبيرجيان Tiberghien . (فتيحة الهكار ص 28).

وقد ظهرت الاهتمامات في الدراسات الأولى بالتصورات في مجالات البيولوجيا والفيزياء والرياضيات والعلوم الاجتماعية.

وكان بارلت Barlett عام 1932 من أوائل من ركزوا على تأثير المعارف السابقة في تعلم واكتساب المعارف الجديدة، إذ بين أن المعلومات الحديثة تندمج بشكل فعال في البنيات الذهنية الموجودة قبليا عند المتعلمين (فتيحة الهكار ص 31).

وتم الانتهاء إلى أن التصورات مؤشر هام من مؤشرات العمل الديداكتيكي للمعلم الذي لن يتمكن من التدخل بشكل ايجابي وفعال إلا بانتباهه لتصورات المتعلمين ولدورها في السيرورات التعليمية-التعليمية لأن كل متلق يتلقى المعلومات بطريقته الخاصة، وحسب استجابتها لحاجيته ومدى مطابقتها لاهتماماته.

إلا أن الطابع الإشكالي الذي يميز مسألة التصورات قد أفرز اختلافا في وجهات النظر فيما يخص ماهية الدور الذي تلعبه التصورات في العملية التعليمية:

- ها تبني المعارف العلمية بالتفاعل مع التصورات المسبقة لبناء تصورات جديدة فتصبح بذلك التصورات أداة معرفية وبيداغوجية ؟
- أم هل تبني المعرفة العلمية بإلغاء وتعديل التصورات المسبقة لأنها تمثل عائق معرفي وبيداغوجي ؟

ونتيجة لهذا التساؤل ظهر اتجاهين:

- اتجاه يؤكد على أن التصورات أداة معرفية و بيداغوجية.
- اتجاه يرى أن التصورات عائق معرفي و بيداغوجي.

وفيما يلي توضيح لذلك:

### 3-7-1- التصورات كأداة معرفية

ينطلق الاتجاه الأول من الفرضية البيداغوجية التي تعتبر التعلم كحصيلة لعملية دمج بين التصورات الجديدة و التصورات الموجودة مسبقا، وليس كسيرورة تستبدل فيها التصورات القديمة بالتصورات الحديثة. إذ يلح هذا الاتجاه على ضرورة انطلاق التعلم من تصورات التلاميذ، ومنه ضرورة تغيير دور المدرس من مرسل أو ناقل للمعارف إلى منشط لمجموعة الصف التي تتألف منه ومن التلاميذ. هذا بهدف تمكن المعلم من تحديد تموقعه بالنسبة للأطر المرجعية للمتعلمين.

ويرفض أصحاب هذا الاتجاه ثنائية أو مقابلة معرفة علمية-معرفة عامة

وذلك انطلاقا من منطلقين أساسيين:

#### • المنطلق الأول

هي اعتبار أن الفرضية القائلة بوجود فرق بين التصورات والمعرفة العلمية بمعنى فقر التصورات معرفيا، فرضية خاطئة وخصوصا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. أو بمعنى آخر أن التصورات الاجتماعية المسبقة هي أساس لبناء المعرفة العلمية إذ أن السؤال والخطأ اللذان تتسبب فيهما التصورات المسبقة شاهدان على حضور الذات و يمثلان أداة للكشف والبحث كما جاء في دراسات الكثير من الباحثين أهمية الخطأ في العملة الديداكتيكية. فالتصورات تمثل بالتالي عنصر من

عناصر ما أسماه زراتشوك Zaratchouk بالتشخيص الديدانتيكي (Sellaberry ص 15).

### • المنطلق الثاني:

اعتماد العملية التعليمية على ما يعرف ببيداغوجيا الخطأ وذلك باعتبار التصورات المسبقة أو القبلية كوسيلة معرفية مما يقتضي من المعلم خلق وضعية الانطلاق تكون محفزة وذات دافعية حسب الأطر المرجعية للمتعلمين. ويتحقق ذلك عن طريق جعل التلاميذ يعبرون عن آرائهم - عن تصوراتهم المسبقة - بكل حرية ويشكلون بينهم علاقات يقابلون خلالها تصوراتهم حول الموضوع المتعلم بعضها ببعض. وبذلك فهم يقومون بأنفسهم:

- إما بتعديل تصوراتهم.
- إما بتقويمها ذاتيا Auto – Evaluation.
- أو بتقويمها تبادليا Co – Evaluation (إدريسي ص 36).

فتبنى بيداغوجيا الخطأ يعني باختصار عدم وجود قطعية إستيمولوجية بين المعارف القبلية والمعارف الجديدة.

إلا أنه من الضروري ملاحظة أنه رغم خاصية الدينامية والايجابية التي تتصف بها بيداغوجية الخطأ إلا أنها يمكن أن تجعل التلميذ يتمسك بتصويراته عندما يرى التطابق بين تصويراته وتصورات زملائه في مفهوم معين ويقاوم المعارف الجديدة.



## 3-7-2- التصورات كعائق بيداغوجي

يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن تفاعل بين المعارف القبلية و المعارف الجديدة ليس هو السائد دائما بسبب حدوث عملية المقاومة غالبا تجاه الخطابات الجديدة والتي تتسبب فيها المعارف أو التصورات القديمة، و يظهر هذا حينما يتمسك المتعلم بتصوراته و تمثلاته الخاصة والتي تصبح حينئذ عائقا إبستمولوجيا وبيداغوجيا.

مما يستدعي معالجة هذا الوضع لتمام العملية التعليمية، ويتم ذلك إما عن طريق تعديل هذه التصورات وتقويمها أو بتجاوزها وإلغائها.

يعد باشلار Bachelard أول من اعتبر التصورات عائقا إبستمولوجيا و بيداغوجيا، و يظهر هذا الموقف في افتراضه أن التعلم العلمي الحقيقي لا يمكن أن يحدث إلى عن طريق القطيعة الإبستمولوجية مع المعارف القبلية التي تبقى معارف ذاتية، حيث يوضح ذلك في قوله: " ماهية التفكير تتمثل في فهمنا أننا لم نفهم " (Giordan ص 35).

وكذلك اعتبرها بوبر Popper أن "التصورات تشكل نظاما تفسيريا له مقاومة شديدة لكل ما يتعارض معها في حين تقبل ما يعززها" (Giordan ص 36).

حيث يعتبر أصحاب هذا الاتجاه أن التصورات تعد أطرا ذهنية يظل المتعلم سجيناً لها، إذ أنه لا يرى تفسيرا للواقع إلا من خلالها وأنها تمنحه القدرة على التحكم والتصرف الملائم حسب توقعات المحيطين مما يعطيه إحساسا بالانتماء وكل هذا من وظيفة التصورات وفي حالة عدم تعديلها أو إزالتها قد تقاوم المعارف الجديدة باعتبارها مهددة لكل ذلك.

## 3-7-3- الاتجاه التوفيقي

يدمج أصحاب هذا الاتجاه بين الرأيين السابقين إذ تعتبر التصورات عامل إدماج ومقاومة للمعارف الجديدة في آن واحد، وذلك اعتمادا على فرضية الصراع المعرفي "بواسطة هذا الصراع يجد المرء نفسه مدفوعا نحو إعادة توزيع المعارف المكتسبة قريبا بينة معرفية قصد إدماج المعارف فيها" (Giordan ص36).

غير أن هذا لن يتحقق إلا بقبول المتعلم بمبدأ التشكيك في معلوماته السابقة القائمة على تصورات خاطئة، وهذا بمحض إرادته ودون إكراه خارجي عن طريق الإعلان الصريح أو الضمني بعدم الفهم. وفي هذا السياق يعلن جيوردان Giordan أنه يولي اهتمامه بالتلميذ كلما صرح هذا: "إنني لم أفهم". ويعتبر هذا التصريح علامة على تخليه عن لغة التأكيد لتصوراته الخاصة وانتقاله إلى ممارسة الشك فيها، الشيء الذي يدل على قبول تغييرها. وحينئذ يجب إعطاء أهمية قصوى للتعديلات التي يدخلها المتعلم على تصوراته السابقة. وهذا ما يشكل حجة على رسوخها وتغييرها في الآن نفسه". (إديسي ص37). وبذلك توظف التصورات عبر عملية الصراع المعرفي من أجل إنتاج تصورات أكثر علمية بشرط أن تمنح للمتعلم حرية التعبير عن تصوراته المسبقة ليتمكن من مقابلتها بالمعارف الجديدة وتعديلها.

وهذا هو الاتجاه الذي نعتبره الأصح إذ يتم بناء المعارف الجديدة بتوظيف التصورات السابقة للمتعلم مما يغير دوره في العملية التعليمية من عرض وإعادة إنتاج لمعرفة ولخطاب يتمتع بالمصادقية إلى إنجاز لمثل هذا الخطاب بمبادرته الخاصة مما يجعله حريصا على شروط مصادقية هذا الخطاب عن طريق تعديل تصوراتته مع تحديد موقعها بوضوح بالنسبة للمعرفة العلمية. مما يمنحه الإحساس بالفعالية في دوره كمشارك في إنتاج التصورات الجديدة المعدلة مع المعلم.

استطاع الإنسان أن يغالب الطبيعة في معارك وتحديات مختلفة، لقد سيطر على الفيضانات جزئياً بالسدود، وتخطى البحار والمحيطات وسلاسل الجبال بالثورة الصناعية والتكنولوجية، نجح في طي المسافات والوقت معاً، ووضع أقدامه على القمر وذهب بعيداً في اكتشاف النجوم والكواكب، لكنه أبداً لم يستطع أن يقهر غضب الطبيعة وقدرتها على مفاجأة الناس بضربات كاسحة بواسطة الزلازل والأعاصير والبراكين. إن كوكب الأرض مهما بدا لنا ساكناً وهادئاً هو في الحقيقة متحرك وفعال وحي أكثر مما نتخيل بكثير. ففي كل سنة تتحرك الأرض أكثر من مليون مرة في أكثر من منطقة في العالم، وفي كل مرة قد تكون الكارثة ويحدث الزلزال الذي يخلف بعده الموت والدمار والخراب. وفي كل يوم يضرب البرق الأرض بمعدل 50 إلى 100 مرة في الثانية الواحدة، ومن هنا تتكون الصواعق التي تحرق كل ما تجده في طريقها. زيادة على البراكين التي تنام لتصحو، والعواصف التي تسيّر رياحها بقوة جبارة وسرعة خيالية تقتلع بها كل شيء، أوقد يكون زلزالاً في قعر المحيط يخلف تسونامي مدمرة كما حدث في شرق آسيا يوم 14 ديسمبر 2004.

إن الكوارث تمثل تحدياً كبيراً لاعتقادنا وإيماننا في استقرار العالم، وتجاوزاً لقدرتنا

على الفهم.

**1- تعريف الكوارث****1-1- التعريف اللغوي:**

يعرفها المنجد العربي كالتالي:

كَرَثَ: كَرِثَ كَرِثًا و أَكْرَثَ الْغَمَ فَلَنَا أَيِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَبَلَغَ مِنْهُ الْمَشَقَّةُ.

اكثرث بالأمر: بالى له واهتم به. و انكرث الحبل أي انقطع.

الكارث (م) الكارثة (ج) الكوارث: مسبب الغم الشديد.

الكريث: الكارث (المنجد في اللغة والإعلام ص 679).

أما لاروس فيعرفها:

كرث: كَرِثَ يَكْرِثُ كَرِثًا فَهُوَ كَارِثٌ: الأَمْرُ الشَّخْصُ أَيِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَبَلَغَ مِنْهُ الْمَشَقَّةُ.

اكثرث يكثرث اكثرثا: الشخص له أي حزن.

كرث (ج) كوارث ما يسبب المشقة البالغة.

كارثة (ج) كوارث 1- مؤنث كارث 2- نازلة عظيمة: كارثة الزلزال. (المعجم العربي الأساسي

ص 1034)

أما باللغة الفرنسية فيعرفها لاروس:

كلمة catastrophe اسم مؤنث أصلها من اللغة الجرمانية katastrophé بمعنى قلب أو إقلاب

renversement وهي: حدث مباغت يتسبب في قلب واضطراب الحياة bouleversement، دمار

وموت.

وتستعمل في الأدب بمعنى الحدث القاطع الذي يكسر تسلسل الأحداث في التراجميات الكلاسيكية ويقابلها في الأدب العربي العقدة..... كما أن هناك نظرية تسمى نظرية الكوارث وهي نظرية في علم الرياضيات لصاحبها ر.توم R.Thom تعنى بدراسة الظواهر المتقطعة ( Petit Larousse ص 171).  
وتشترك كل هذه التعاريف في أن الكارثة هي حدث مباغت أو مفاجئ يغير مجرى الحياة بما يسببه من اضطراب و شدة عظيمة و دمار وموت.

## 1-2- التعريف الاصطلاحي:

الكارثة هي وضعية التي تتسبب فيها واقعة مفاجئة بإحداث خسائر بشرية و/أو مادية كبيرة على مدى وانتشار واسع بحيث يترتب عليها اختلال كبير بين ما نحتاجه من إمكانيات وما يتوفر لدينا لنتمكن من العودة للحياة العادية.

تعرف الكوارث اصطلاحاً حسب 4 خصائص:

1. وقوع حدث مدمر (مفاجئ في الغالب)

2. يخلف عدد كبير من الضحايا

3. يتسبب في خسائر مادية معتبرة

4. يفوق قدرات قوات التدخل والنجدة المحلية

و لأن ما تتميز به كل الكوارث هو كونها تتسبب في تعطيل كبير لمسار الحياة الاجتماعية العادية و خلل على قدر واسع قد يصل أحيانا إلى درجة الانقطاع في كل المسالك والشبكات التي تخص الحياة الاجتماعية بداية بشبكات الكهرباء والغاز و المياه الصالحة للشرب والغذاء والدواء والرعاية الصحية

والطرق التي تسمح بمرور الأشخاص والممتلكات وانتهاء بشبكات الاتصال والإعلام، فإن لوي كروك LCrocq- يضيف إليها خاصية خامسة (L.Crocq 1996 ص 391).

5. ينتج عنه اختلال واضح في النظام الاجتماعي.

فناهيك عن الأضرار التي تخلفها الكوارث على مستوى الأفراد فهي تضرب المجتمع برمته فتهدد كيانه وتخل بنظامه الاجتماعي، ثم أنه كما تلاحظ ردود أفعال فردية فإن هناك استجابات جماعية تسجل على مستوى المجتمع ككل تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى.

### 1-3- تعريف الكارثة الطبيعية

زيادة على تعريفها ككارثة أي حدث مدمر يكون مفاجئاً في غالب الحالات يفوق قدرة وإمكانيات قوات التدخل المحلية مخلفاً عدداً كبيراً من الموتى و مسبباً خسائر فادحة و دماراً واسعاً واختلالاً واضحاً في سير النظام الاجتماعي، لا بد أن يكون سببها طبيعياً مثل الزلازل والفيضانات والبراكين والأعاصير....

وإن كان من الصعوبة بمكان تعيين الحد الفاصل بين الأسباب المتعلقة بالظواهر الطبيعية البحتة وبين الظواهر الطبيعية الناتجة عن تدخل الإنسان، مثل ظاهرة تلوث البيئة التي يتسبب فيها الإنسان أساساً وينتج عنها اختلالات طبيعية قد تؤدي إلى وقوع كوارث طبيعية.

## 2- تاريخ الكوارث:

إن الكوارث جزء لا يتجزأ من تاريخ البشرية فمنذ بداية الحياة على الأرض والإنسان يخاف مفاجآت الطبيعة ويحاول بكل الطرق والوسائل التقليل من أضرارها إلا أنه لم يتمكن لحد الساعة من تفاديها، وهي ما تزال تفرض عليه دائماً الانبهار بقوتها والإعجاب بتمظهرها والخوف من آثارها.

إن أسطورة الطوفان le déluge المتواجدة في كل الحضارات والتي تناقلتها الثقافات المعروفة في تاريخ الإنسانية من مجتمعات ما قبل التاريخ كالمجتمع البابلي أو السومري إلى المجتمعات الحالية و إن كان هناك اختلافاً في حقيقة وجودها في الواقع التاريخي لهذه الحضارات، مع وجود رواية الطوفان في كل الكتب السماوية ليس كأسطورة هذه المرة وإنما كقصص يكون جزءاً عقائدياً مهماً لدى المؤمنين بها، تشهد على سيطرة الكارثة على الذاكرة الجماعية للإنسانية لدرجة أن بعض الكوارث أصبحت تمثل محطات تاريخية يستدل بها ويقسم التاريخ لما قبلها وما بعدها.

## 2-1- تاريخ الكوارث الطبيعية

لم تخلو حقبة من حقبات التاريخ البشري من تسجيل ظواهر طبيعية مدمرة حصدت عدداً كبيراً من الأرواح مثل فيضانات وعواصف وغيرها... والتي انتقلت بين كل بقاع المعمورة. يمكن أن نذكر منها مثلاً،

- دمار بومبي pompeii باندلاع بركاني سنة 79 قبل المسيح.
- وباء الطاعون الذي قتل أروبيين من ثلاثة بين سنتي 1348 و 1356.
- زلزال ليشبونيه الذي خلف 25000 قتيل سنة 1755.

- انزلاق Eruption de la montagne الجبل الذي لم ينجو منه سوى شخص واحد من بين 30.000 ساكن لمدينة—Saint-Pierre— في المارتنيك يوم 8 ماي 1902.
- زلازل متعددة مثل زلزال سان فرانسيسكو San Francisco سنة 1906، زلزال ميسن Messine سنة 1908 الذي خلف 100.000 قتيل وزلزال طوكيو 1923 الذي خلف بدوره 80.000 قتيل، ثم زلزال اغادير 1960 قوا تيمالا 1976، زلزال الاصنام بالجزائر عام 1980 زلزال مكسيكو سيتي سنة 1985 خلف 10.000، مقتل نحو 40 ألف شخص في زلزال في إقليم جيلان بشمال إيران عام 1990... زلزال بومرداس بالجزائر عام 2003 الذي خلف أكثر من ألفي قتيل.
- كوارث المد البحري الذي تحصد أمواجه القاتلة أرواح الآلاف من الأشخاص غرقا دوريا مثال على ذلك المد البحري الذي قتل 500.000 شخص في باكستان عام 1971.

## 2-2- كوارث الحوادث الكبرى (التكنولوجية) :

ثم يأتي تلهف الإنسان وتسابقه نحو تعميم وتصنيع الطبيعة ليضيف قائمة جديدة من الكوارث المتمثلة في حوادث صناعية أو تكنولوجية هائلة تخلف خسائر بشرية ومادية معتبرة:

- انهيارات السدود المائية مما يتسبب في فيضانات قاتلة: انهيار سد جلينو Gleno سنة 1923 في الولايات المتحدة الأمريكية خلفا 200 قتيل كذا سد مالباسي Malpasset سنة 1959 والذي قتل بدوره 488 شخص.



- حوادث اصطدام أو حرائق القطارات والحافلات والطائرات (في حالة الطيران أو على الأرض) مثل في سماء مدينة نونت Nantes عام 1975 مخلفا 83 قتيلا أو اصطدام طائرتين على الأرض في مطار مدريد سنة 1983، كما حالات غرق البواخر مثل حادثة غرق الباخرة تيتانيك Titanic يوم 15 افريل 1923 والذي خلف 1513 قتيل وحالات من الرعب والفرع الشديد بين الناجيين.
- انفجار أو حرائق مستودعات أو ناقلات المواد الملتهبة كما حدث في أسبانيا سنة 1979، وفي ميناء سكيكدة سنة 2003.
- تسرب مواد أو غازات سامة من المصانع قد تكون مميتة أو مخلفة آثار مضرّة بصحة الإنسان وملوثة للمحيط بدرجة قد تؤدي إلى اختلال التوازن في الطبيعة مما يسبب كوارثا طبيعية بدوره مثلما حدث في سيفيسو Seveso بايطاليا في جويلية 1976 ومدينة ليل بفرنسا في 2001.
- تسرب الإشعاعات النووية من المراكز النووية كما حصل في الولايات المتحدة الأمريكية في 28 مارس 1979 مما أدى إلى إجلاء 200.000 شخص من مساكنهم.
- الحرائق الكبرى مثل حريق بازار باريس Bazar de la charité de Paris سنة 1947 الذي خلف 117 قتيل بين حريق وميت في التدافع الفرع عند محاولة الهروب، وكذلك حرائق دور السينما وقاعات الحفلات والملاهي والمراقص : قاعة سينما روي Reuil سنة 1947 وقاعة سينما تورينو Turin عام 1982، ملهى في ساو باولو 1971.

**2-3- كوارث الحروب :**

إضافة إلى المحطات التاريخية المسجلة عبر الكوارث الطبيعية والصناعية التكنولوجية ينضم عدوان الإنسان على الإنسان ليسجل كوارث عظيمة ودمارا وخرابا كبيرين. عرف التاريخ الكثير من الهجمات القاتلة وحالات القصف المدمر، حالات الإبادة الجماعية واختطاف الرهائن باستعمال كل أنواع الأسلحة من التقليدية إلى الأسلحة النووية كما حصل في هيروشيما وناكازاكي يومي 6 و 9 أوت 1945 خلال الحرب العالمية الثانية وفي مناطق من جنوب الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي. زيادة على ما عرفه العالم من خسائر بشرية ومادية كبيرة جدا خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية.

**2-4- مثال: تاريخ الزلازل في العالم خلال 20 السنة الأخيرة**

أسفرت الزلازل في العالم عن مقتل مئات الألوف من البشر ولم تؤدي القفزات التكنولوجية التي أحرزها الإنسان سوى إلى تقليل محصلة القتلى بفارق طفيف.

**14 ديسمبر 2004** زلزال شرق آسيا المتسبب في تسونامي، وصل عدد ضحاياه إلى نحو

300 ألف شخص، يعتبر رابع أقوى زلزال في غضون مائة عام وبلغت قوته تسع درجات.

**21 ماي 2003:** أسوأ زلزال يضرب الجزائر منذ أكثر من عقدين. مصرع أكثر من ألفي

شخص وإصابة أكثر من ثمانية آلاف في الزلزال الذي شعر به السكان عبر البحر في أسبانيا.

**1 ماي 2003:** إصابة أكثر من 160 شخصا بينهم 83 طفلا في انهيار عنابر نوم في جنوب

شرق تركيا.

**24 فيفري 2003:** مقتل أكثر من 260 شخصا وتدمير قرابة عشرة آلاف منزل في منطقة

شينجيانج بغرب الصين.

**21 نوفمبر 2002:** مصرع أكثر من عشرين شخصا في منطقة ديامير بشمال باكستان.

**31 أكتوبر 2002:** فصل دراسي كامل من التلاميذ الإيطاليين يلقي حتفه في قرية سان

جوليانو دي بوليا جنوبي البلاد إثر زلزال أسفر عن انهيار مبنى المدرسة على التلاميذ.

**22 جوان 2002:** زلزال بقوة 6.3 على مقياس ريختر يسفر عن قتل 235 شخصا في منطقتي

قزوين وهمدان بغرب إيران.

**12 أبريل 2002:** مصرع العشرات في ثالث هزة أرضية ضخمة تضرب شمال أفغانستان

خلال شهرين.

**25 مارس 2002:** ثاني زلزال خلال شهر في أفغانستان، وقد بلغت شدته 6.0 على مقياس

ريختر، وأسفر عن قتل 800 شخص على الأقل شمال البلاد.

**3 مارس 2002:** مصرع 150 شخصا في زلزال في أفغانستان كان مركزه بإقليم سامانجان،

وقد بلغت شدة هذا الزلزال 7.2.

**3 فيفري 2002:** ضرب زلزال بقوة 6.0 درجة على مقياس ريختر غربي تركيا، مما أزهق

أرواح 43 شخصا وشرد الآلاف.

**24 جوان 2001:** استمر زلزال لأكثر من دقيقة بجنوب بيرو، مما أسفر عن مصرع 47

شخصا وإصابة المئات. وقد بلغت شدة هذا الزلزال 7.9 درجة على مقياس ريختر.

**13 فيفري 2001:** قتل قرابة 300 شخص في ثاني زلزال يصيب السلفادور خلال شهر.

وقد بلغت شدة الزلزال الثاني 6.6 درجة على مقياس ريختر.

**26 جانفي 2001:** ألحق زلزال بلغت شدته 7.9 درجة دمارا ضخما بولاية جوجارات بشمال

غرب الهند، مما أسفر عن مصرع من يقدر عددهم بـ30 ألفا فضلا عن تشريد أكثر من مليون نسمة. وكانت مدينتا بهوج وأحمد آباد بين الأكثر تضررا.

**13 جانفي 2001:** زلزال مدمر في السلفادور بشدة 7.6 درجة، وعدد الضحايا يفوق 700

شخص.

**21 سبتمبر 1999:** زلزال يضرب تايوان بقوة 7.6 ويسفر عن قتل قرابة 2,500 شخص

ويلحق دمارا بكافة المدن الرئيسية بالجزيرة.

**أوت 1999:** زلزال بقوة 7.4 درجة يضرب مدينتي إزميت وإسطنبول، مما يسفر عن

مصرع أكثر من سبعة عشر ألف شخص وعدد أكثر بكثير من المصابين.

**29 مارس 1999:** ولاية أوتار براديش بشمال الهند تتعرض لزلزالين خلال يومين، مما يسفر عن

مقتل أكثر من مائة شخص.

**25 جانفي 1999:** زلزال بقوة ستة درجات يقتل نحو ألف شخص ببلدة أرمنيا في كولومبيا.

**17 جويلية 1998:** مقتل أكثر من ألف شخص بعد أن اجتاحت أمواج المد التي أحدثها زلزال كان

مركزه تحت سطح البحر، تجمعات بشرية على الساحل الشمالي الغربي لبابوا غينيا الجديدة.

**26 جوان 1998:** أضنة بجنوب شرق تركيا تتعرض لزلزال بقوة 6.3 مما يسفر عن مقتل 144

شخصا. وبعد أسبوع تتعرض المنطقة نفسها لتابعين قويين مما يلحق إصابات بأكثر من ألف شخص.

**30 ماي 1998:** زلزال كبير بشمال أفغانستان يخلف أربعة آلاف قتيل.

مايو 1997: مقتل أكثر من 1,600 شخص في بيرجاند بشرق إيران، في زلزال بلغت شدته

7.1 درجة.

**فيفري 1997:** زلزال بقوة 5.5 درجة يلحق دمارا واسعا بمناطق ريفية بشمال غرب إيران، ويقتل ألف شخص، وبعد ذلك بثلاثة اشهر يسفر زلزال أقوى، بشدة 7.1 درجة، عن مقتل 1,560 بشركي البلاد.

**27 ماي 1995:** زلزال يضرب جزيرة ساخالين بأقصى شرقي آسيا مما يسفر عن مصرع 1,989 روسيا. بلغت شدة هذا الزلزال 7.5 درجة.

**17 جانفي 1995:** زلزال هيوغو يضرب مدينة كوبي باليابان، مما يسفر عن مصرع 6,430 شخصا.

**6 جوان 1994:** مقتل نحو ألف شخص في زلزال وانهيارات أرضية أعقبته في كولومبيا.

**30 سبتمبر 1993:** مصرع نحو عشرة آلاف من سكان قرى بغرب وجنوب الهند.

**21 جوان 1990:** مقتل نحو 40 ألف شخص في زلزال في إقليم جيلان بشمال إيران.

**17 أكتوبر 1989:** زلزال لوما بريتا يضرب كاليفورنيا، مما يسفر عن مصرع 68 شخصا.

**7 ديسمبر 1988:** زلزال بقوة 6.9 درجة يلحق دمارا بالغا بشمال غربي أرمينيا، ويسفر عن 25 ألف قتيل.

**19 سبتمبر 1985:** زلزال هائل يهز مدينة مكسيكو سيتي ويسوى أبنية عديدة بالأرض، ويسفر عن عشرة آلاف قتيل.

### 3- تصنيف الكوارث:

يمكن للكوارث أن تصنف بعدة طرق حسب العوامل التي تأخذ بعين الاعتبار في عملية التصنيف، فقد يكون التصنيف حسب عامل واحد مثل نوع الكارثة أو سببها أو مكان وقوعها وقد

يكون التصنيف متعدد العوامل وهو التصنيف الأمثل خصوصا إذا أخذ بعين الاعتبار العوامل الإنسانية والاجتماعية. من هذه التصنيفات:

### 3-1- التصنيف حسب سبب الكارثة:

1. الكوارث الطبيعية: الفيضانات، الزلازل، البراكين...
2. الكوارث التكنولوجية: الحرائق الكبرى، حوادث المصانع والطائرات والقطارات...
3. كوارث الحروب.
4. الكوارث المجتمعية: التي تؤدي بأرواح الكثير من الناس دون حادث مادي مثل التجمعات والمظاهرات ومواسم الحج...

### 3-2- تصنيف Berren و Beigel

في سنة 1980 قام العالمان Beigel و Berren (Louis Crocq ص 415) من مركز الصحة العقلية بجنوب أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية Southen Arizona Mental Health Center بوضع تصنيفا للكوارث متعدد العوامل حسب الخصائص الخمس التالية:

1. درجة التأثير على الأفراد.
2. نوع الكارثة.
3. حدة الكارثة.
4. خطر تكرار الكارثة.
5. التحكم في التأثير المستقبلي.

## 3-3- التصنيف حسب درجة الخطورة:

قام مركز البحث حول الكوارث (Louis Crocq ص 415) Disaster Research Center

بجامعة ولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية بإرساء ملمح للكوارث حسب الخصائص التالية:

1. اتساع منطقة التأثير بالكارثة،

2. درجة التعمير أو العمران والتصنيع داخل منطقة الكارثة.

3. عدد الضحايا.

4. أهمية الخسائر المادية المترتبة عن الكارثة.

5. إمكانية توقع الكارثة من عدمه.

يتمركز هذا التصنيف حول درجة الخطورة للكارثة كما يبدو في الجدول التالي:

درجة الخطورة	منطقة التأثير	درجة التعمير و التصنيع	عدد الضحايا	أهمية الخسائر	إمكانية توقع الحادث
1	عدد من البلديات	معمرة ومصنعة	أكثر من 1000	علمية	غير متوقعة ومباغثة
2	بلدية واحدة	معمرة أو مصنعة	من 100 إلى 1000	متوسطة أو منفردة	غير متوقعة مباغثة
3	حي واحد	غير معمرة وغير مصنعة	أقل من 100	ضعيفة	متوقعة ومرتدة

صور لبعض الكوارث الطبيعية



غضب الطبيعة



إعصار



بركان



زلزال



عواصف



برق ورعد



تسونامي



انهيار ثلجي



#### 4 – مراحل وقوع الكارثة:

تختلف الكوارث فيما بينها في خاصية إمكانية التوقع لها فبينما بعض الكوارث تكون قابلة للتوقع في زمان ومكان حدوثها (كوارث الحروب وحالات التجمعات الكبرى للأشخاص خلال مواسم الحج والتظاهرات الرياضية وغيرها...) مما قد يسمح للإنسان التدخل للتقليل من خسائرها أو الإعداد لإغاثة المتضررين منها، يبقى بعضها الآخر غير قابل للتوقع (بعض الكوارث الطبيعية: الزلازل...) فهي تحدث مباغتة. ولكنها تشترك جميعا في كونها تقع حسب تسلسل زمني في أحداثها يمكن أن نقدمه على شكل المراحل التالية:

#### 4-1- مرحلة الحالة السابقة للكارثة:

وهي مرحلة التعرف على الحالة التي سبقت الحادث المتسبب في الكارثة داخل جماعة معينة. وحصص عوامل التي يمكن أن تزيد من تأثير الكارثة وتعد من نتائجها مثلا العوامل المساعدة على ردود الأفعال أو الإستجابات الغير ملائمة.

#### 4-2- مرحلة الإنذار:

هي المرحلة مهمة جداً حيث أنها محددة بالنسبة للجماعة، فخلالها ترتفع حالة الانتباه الشديد والتأهب لحدوث الكارثة واستحضار و السلوكات والتصرفات المؤدية للنجاة و إنقاذ الآخرين. خلال هذه المرحلة يظهر القلق الايجابي الذي يبعث على إبداء تصرفات يقظة ودفاعية وأخذ الاحتياطات اللازمة و اتخاذ القرارات والإجراءات المساعدة على النجاة.

ولكن من الممكن أن تتحول إلى مرحلة انتشار الإشاعات الموهولة من الأحداث والمحبطة عوض تقليصها فينتشر القلق السلبي الذي يؤدي إلى حالة من الهيجان والحركة الزائدة والغير ملائمة قد تتسبب في تعطيل وتعقيد الوضع أكثر

كما يمكن أن تكون بدون أية فائدة تماما خاصة في الحالات التي يكون فيها تكرار حدوث للكارثة مما يؤدي بالسكان إلى حالة من التعود مما يؤدي بهم إلى عدم الاهتمام واللامبالاة بأخذ أي احتياطات لمواجهة الحدث...

أو عندما يكون رد فعل السكان حالة من الرفض أو عدم تصديق وشوك وقوع الخطر أو التقليل من حجمه ( وهذه الحالة قد تنتقل بالعدوى) فيحاولون تبسيط الأمر والانغماس القسدي والكامل في المشاغل والمهام اليومية، فلا ينتج عن هذه الفترة أية احتياطات.

#### 4-3-مرحلة الحدث (الواقعة) أو الصدمة:

تعتبر هذه أهم مرحلة في أحداث الكارثة من دون شك، فهي مرحلة مهددة جدا بما تحمله من عنف الحدث وفجائيته وعدوانه الخارق لنفسية الأفراد قد يصل إلى درجة التصدع الذي يصيب الجهاز النفسي في حالات الصدمة النفسية، يصاب الأفراد بحالة من الضغط أو الإجهاد النفسي Stress تختلف حدتها نسبيا حسب الأفراد واستعداداتهم النفسية وحسب الوضعيات والظروف التي يكونون فيها عند وقوع الحدث.

هذه الحالة من الضغط والشد النفسي تؤدي إلى نتائج متناقضة: من جهة قد تسبب حالة من الانتباه واليقظة والتأهب النفسي والذهني و الشد العصبي العضلي يؤهل الضحايا من أجل ردود أفعال واستجابات حركية لازمة وأخذ القرارات الضرورية لمواجهة الموقف. ومن جهة

أخرى قد تكون ذات أثر نفسي حركي سلبي يؤدي إلى حالة من الذهول الذهني والشلل الحركي تمنع الأفراد من اتخاذ أي قرار أو القيام بأي حركة تصل بهم إلى حالة جمود تام وسط الأخطار المحدقة بهم، كما قد يظهر بالعكس عند أفراد آخرين حالة من الهيجان الحركي بحركات كثيرة غير متناسقة، أتوماتيكية بدون هدف أو فائدة بسبب حالة الجمود الذهني الكامل لكن هذه الحركات لا تؤدي بهم إلى تفادي الخطر بل بالعكس قد تعرضهم له أكثر.

يعيش الأفراد خلال هذه التجربة حالة من الفزع والفوضى يفقدون خلالها المعالم المكانية والزمنية (خاصة حالات الزلازل) يصاحبها إحساس بالعجز عن تقييم الوضع ومقدار الخطر وأخذ القرارات اتجاهه وإحساس بالهلع اتجاه ما يحدث، كما أن كل فرد يتهيأ له أنه مركز الكارثة - مفهوم المركزية Centralité - يجد معه انطباع بقمة الضعف والهوان Vulnérabilité من غير أي حماية في مواجهة الموت - الاعتراف المبالغ بالضعف وانهييار الأسطورة الداخلية باللاضعف. Le mythe intérieur de l'invulnérabilité. كما تلاحظ نفس هذه الاستجابات و الردود لدى المنقذين والمتدخلين أحيانا كثيرة كما تحدث لدى الضحايا أمام هول انتشار الدمار و الخراب وكثرة عدد الضحايا ومشاهد خطورة الجروح والإصابات المطلوب منهم علاجها مع اختلاف تام في الإطار العلاجي المادي والإداري أو فقدانه أحيانا أخرى فيكون عليهم إيجاد مع الإحساس بالعجز أو الذنب خصوصا مع نقصان وسائل الإنقاذ والإغاثة أو تأخرها في هذه المرحلة مما يزيد في حدة توترهم ناهيك عن تمثلهم بالضحايا.

## 4-4-مرحلة ردود الأفعال أو مرحلة الاستجابة:

هي متعلقة ومرتبة بقدر كبير على المرحلة التي قبلها من خلال الحالات الذهنية الناتجة عنها عند الأفراد من إنهاك على المستوى النفسي والذهني الحركي والانفعالي والإرادي واختلال النظام المكاني والزمني، استمرار حالات الخوف والهلع والإحساس بالضعف الكامل والعجز عن الفعل، والنكوص إلى المرحلة البدائية Grégaire (مرحلة القطيع) للبحث اليائس عن النجاة مع ميل لتقليد أول نموذج فعل يحضر أمامه.

قد يظهر في هذه المرحلة سلوكيات عقلانية ضرورية ومفيدة، قد يضل الفرد قادرا على تبني إستراتيجية ذهنية ايجابية وواضحة والاتجاه إلى سلوكيات وتصرفات متعلمة سابقا حسب حدة الحدث وشدة الكارثة واستعدادات الفرد النفسية و وجود تاثير ناجح مهيكّل مسبقا أو مستحدثا يصدر أوامر واضحة وناجعة.

كما يمكن أن نلاحظ سلوكيات غير ملائمة تماما وقد تكون خطيرة مثل استمرار حالة Stupeur- Inhibition-Commotion تصل عموما إلى حركة و انتقال متثاقل إلى خارج منطقة الحدث، أو حالات الفرع والهروب في كل الاتجاهات بما تحمله من نكوص بدائي تسيطر فيه الرغبة القاهرة في الهرب مع تغييب كل قيم الحضارة والمدنية (حالات التدافع التي قد تتسبب في موت من نجا من الكارثة) مع الميل إلى التقليد دون تفكير...أو حركات كثيرة متكررة من غير فائدة أو هدف، وانتشار حالة من العجز على أخذ القرار.

## 4-5-مرحلة الانفراج:

تظهر فيها العودة رويدا رويدا إلى السلوكيات العادية و استرجاع القدرات الذهنية المؤدية إلى تقييم الوضعية على ما هي عليه وإمكانية اتخاذ قرارات عقلانية المناسبة مع عودة الأفراد إلى المجال الاجتماعي المألوف لديهم من قبل باجتماع أفراد العائلات.

من السلوكات الغير ملائمة في هذه المرحلة ما يلاحظ من حركة جبرية جماعية لعودة الضحايا إلى مكان الكارثة تختلط مع حركة المتدخلين والمنقذين وبعض الفضوليين مما يسبب خطورة وتعقد عمليات الإنقاذ.

## 4-6- مرحلة التعقيد:

يظهر في هذه المرحلة عمليات تفرغ جماعية بعد المراحل السابقة التي أجبر فيها الأفراد على تحمل الحدث وإحساس العجز أمامه بسبب حالة الذهول sidération التي كانت تعترضهم. بمعنى آخر يسترجع الأفراد القدرة على المبادرة وعلى الفعل والذي قد يتوجه في هذه المرحلة إلى الانتقام من المحيط أو الوسط الطبيعي الذي كان عنيفا وعدوانيا ومن النظام الاجتماعي الذي لم يتمكن من توقع الحدث ولا الحماية منه.

إن سلوكيات هذه المرحلة قد تكون على شكل تدميري وتخريبي قد يصل إلى حد الاعتداءات على الأشخاص والممتلكات ( فمثلا بعد الانفجارات النووية بنكازاكي باليابان شوهد عمليات عنف وتخريب ، كما أن التدافع داخل الملاعب تتبعه عمليات شغب وتحطيم ، مثل ملعب ليما في 26 ماي 1964 وملعب إيران 26 مارس 2005 بعد مقابلة إيران واليابان والتي مات خلال عمليات التدافع عند الخروج من الملعب 6 أشخاص وعمت الفوضى والرعب بقية الموجودين في الملعب )

كما قد لا تبدو هذه التعقيدات السلوكية لهذه المرحلة إلا متأخرة أو على المدى البعيد مكونة بذلك ذهنية تسمى بذهنية ما بعد الكارثة *mentalité post-catastrophique* على شكل تصرفات تعبر على الحداد المستمر والطويل ، شعور قوي بالذنب لدى الناجين اتجاه من ماتوا يكبلهم عن الاستمرار في مزاولة الحياة العادية . كما قد يخلق لديهم ميولات نحو السلوكيات الاتكالية واللاستقلالية نتيجة الإحساس المستمر بالعجز وعدم القدرة على المبادرة وانتظار الفعل من الآخر مثل الدولة والمؤسسات العالمية... مما يؤدي في النهاية إلى تشكيل مجتمع اعتمادي .

إلى جانب إمكانية ظهور عقلية الاحتجاجات المتكررة التي تنتشر بعملية العدوى بين سكان منطقة أو مدينة بأسرها وقد تمتد لعشرات السنين وتستغل ذكرى الكارثة في تدعيمها كل سنة.

## 5 - مناهج و أساليب دراسة الكوارث

### 5-1- تاريخ تطور الدراسات حول الكوارث:

لقد رافق تاريخ الكوارث الطبيعية دراسات علمية عديدة في مجالات بحث مختلفة ارتبطت بالكوارث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة سواء العلوم دقيقة وتكنولوجية المتعلقة بأسباب أو آثار الكوارث في الجانب المادي كالجيولوجيا والفيزياء وعلم الهندسة المدنية و علم الهندسة المعمارية... أو العلوم الإنسانية والطبية المتعلقة بالجوانب الإنسانية والاجتماعية للكوارث كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والطب العقلي للكوارث *Psychiatrie des catastrophes* منها الدراسات والبحوث النفسية والطبية العقلية حول الاستجابات النفسية وردود الأفعال الفردية والجماعية أمام الكوارث والإختلالات الاجتماعية التي خلفتها كوارث ونكبات مرت بها الإنسانية.

ولكن مقارنة بتاريخ الكوارث في العالم وما تمثله من خطر وتهديد لحياة البشرية، فإن البدايات للدراسة العلمية المنظمة قد تأخر كثيرا وبصفة أخص الدراسات النفسية. فقد كانت البدايات الأولى مع كوارث الحروب التي حظيت بالاهتمام الأوفى من قبل الحكومات التي كانت تتأهب لها بإجراءات دفاعية على عكس أنواع الكوارث الأخرى التي لم يولى لها نفس الاهتمام، وحتى هذا القدر الضعيف من الاهتمام كان يركز فيه على الجوانب المادية والإغاثة الصحية وبصفة أقل الجوانب النفسية والنفس اجتماعية. مما أفر ملاحظة وجمع البيانات الخاصة بنتائج وردود الأفعال والاستجابات النفسية بعد معايشة الكوارث، ناهيك عن إعداد برامج تدريبية وعلاجية تكفلية خاصة على المدنيين المتوسط والطويل، أو تحضيرات نفسية لسكان المناطق المعرضة لكثرة للكوارث على اختلاف أشكالها وأنواعها. وقد التقت هذه اللامبالاة من قبل السلطات والمسؤولين مع نقص الوعي لدى السكان الناجين. مما تسبب أيضا في تأخر الدراسات والبحوث الخاصة بالكارثة ونتائجها وظهور مؤسسات ومنظمات علمية متخصصة في هذا المجال.

وقد لعبت وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها دورا آخر لا يقل أهمية عن الأسباب السابقة والتي أخرت تطور هذه البحوث بسبب سياسة التكتف والتعتيم التي كانت تمارسها، حول كل ما يحدث أثناء الكارثة وما يعقبها وما ينتج ويترتب عنها، وهذا بحجة تفادي البلبلة وعدم إثارة قلق وانزعاج الأهالي.

ومهما كان الوضع فإن تطور البحث العلمي النفسي حول الكوارث الطبيعية مر بثلاثة مراحل

أساسية هي:

**5-1-1- المرحلة التمهيديّة:**

والتي تصل إلى غاية 1934 أين ظهر فيها علم النفس الجماهيري مع غوستاف لوبو Gustave le bon سنة 1895 كما برزت معظم المحاولات المنعزلة لأخصائيين نفسانيين مثل محاولة وليام جيمس William james 1906 التي تعرض فيها إلى زلزال سان فرانسيسكو . وكذا محاولة س . برانس s. prince التي قام فيها بدراسة حول انفجار داخل باخرة في هالي فاكس . وأشهر أعمال هذه المرحلة ما قدمه هـ . كانتريل H.Cantril حول حالة الرعب والفرع التي حصلت بسبب حصة إذاعية لـ إرسون وايس orson welles بعنوان "هجوم من المريخ" والتي تم بثها يوم 30 أكتوبر 1938 في ولاية نيوجرزي في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أبدع إرسون وايس orson welles في تقديم حصته إلى درجة جعلت الناس يصدقون وقوع الهجوم عليهم ، مما تسبب في تولد حالة من الهلع والفرع وسط السكان .

**5-1-2- المرحلة الثانية:****مرحلة ما بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية: أي بين سنة 1940-1960:**

تولدت هذه المرحلة جراء القلق الذي انتشر على المستويين الرسمي (الحكومات، السلطات...) وغير الرسمي (الجمعيات...) من أجل السيطرة والوقاية من ردود الأفعال والاستجابات المرضية الفردية غير الملائمة وحالات الرعب و الفوضى الاجتماعية التي تعم في المناطق العمرانية التي تتعرض للهجمات بالقنابل، بالإضافة إلى توقع ردود الأفعال في حالات التعرض الفردي أو الجماعي للاعتداءات بأسلحة جديدة غير معروفة مسبقا لدى الضحايا في ظل السباق نحو التسلح الذي عم تلك المرحلة.



كما اشتد القلق من أجل تحسين أداء الجنود على الجبهات مما اضطر إلى دراسة نفسياتهم وتأثرهم بما يحدث في أرض المعارك.

كل هذه الأسباب مجتمعة ساهمت بشكل أو بآخر في ظهور وبروز بعض المؤسسات البحثية المتخصصة التابعة للحكومات، وقد كان البحث متاميا بشكل جيد في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من غيرها، بإشراف المركز الوطني للبحث في صبر الآراء "NORC" National Opinion Research Center مع ستوفر، فريتس، وماركس، Marks. Fritz. Stouffer الذين عالجوا المواضيع المتعلقة بالأحداث الكارثية أما ج. جانيس J. Janis حول الضغط الانفعالي.

كما ساهمت الأكاديمية الوطنية للعلوم بالتعاون مع المركز الوطني للبحوث NAS – NRS في طبع العديد من التقارير حول الكوارث منها تقرير حول فيضانات هولندا 1953.

### 5-1-3- المرحلة الثالثة:

تبدأ في سنوات الستينات التي شهدت إنشاء وانتشار المراكز المتخصصة والتي كانت في أغلبها ملحقة بالجامعات أكثر تأهيلا لاحتوائها على التأطير البشري والوسائل والوثائق الأكثر ملائمة لإرساء معارف حول الكوارث بصفة عامة والطبيعية على وجه الخصوص و هذا على المدى والآمد الطويل.

أشهر هذه المراكز "مركز البحوث حول الكوارث" Disaster Research center  
 "D.R.C" بجامعة ولاية أوهايو، في كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية الذي أنشئ خلال 1963 تحت إدارة البروفيسور كارونتييل Quarantell.

أما في فرنسا فقد بدأت أول بوادر البحث حول الكوارث مع المركز الخاص بالدراسات حول الكوارث تحت إدارة البروفيسور ست وتزل Stoezel، كما ظهرت عدة مراكز أخرى في بلجيكا، إيطاليا، كندا، اليابان... وغيرها من الدول. ولهؤلاء يعود الفضل عموما في ظهور دراسات سيكو اجتماعية لبعض الكوارث منها كارثة فيزين بفرنسا Feyzin بعد انفجار مخازن للغاز في 04 جانفي 1966، و كارثة انفجار معمل المواد الكيميائية في فليكس بوروغ Flixborough ببريطانيا في 01 جوان 1974، والدراسات حول السلوكات الملاحظة لحالة الزلازل في اليابان، كذلك الدراسة التي قامت في سيفيسو Seveso بإيطاليا والتي اهتمت بالاستجابات وردود الأفعال الملاحظة في حادثة تسرب غازات كيميائية سامة وخطيرة في جويلية 1976.

## 5-2-2 مناهج دراسة الكوارث:

فيما يتعلق بالمجال المنهجي خصوصا المظاهر النفسية والاجتماعية المرتبطة بالكوارث (بعيدا عن المظاهر المادية والتدخلات الطبية) يوجد عدة طرق للمقاربة و البحث وكذا التحليل والتقييم التي يمكننا تصنيفها كالتالي:

## 5-2-1- المقاربات الدلالية:

والتي تهدف إلى الإحاطة بمجال الدراسة من خلال التعرف على الوقع النفسي الوجداني الانفعالي للمفردات والكلمات، ضمن الضمير والوعي الجمعي للمجتمع العام والقيام بمقارنات ما بين الثقافات في وجود وعدم وجود المفردات المقابلة. وكذا سرعة بروز وظهور بعض المفردات دونها عن أخرى وهكذا...

## 5-2-2- المقاربات التاريخية:

التي تعمل على إعادة تحديد معالم الكوارث المذكورة في التاريخ خصوصا المدنية والعسكرية منها بكل الظروف المحيطة بها آنذاك والسلوكيات والاستجابات التي ظهرت خلالها. لا تعتمد هذه الدراسات على روايات الناجين من الكوارث فحسب، بل تتعدى ذلك إلى وثائق أرشيفية وسمعية بصرية.

## 5-2-3- الملاحظات الميدانية:

وهيكل تلك الملاحظات التي تتم في الميدان عن طريق أخصائي نفسي وعالم اجتماع أو طبيب عقلي والتي تكون أجدى وأكثر دقة من الملاحظات التي يقوم بها غيرهم من الشهود حول الكارثة. إن المتخصص له القدرة على ملاحظة خصائص السلوك وسماته التي قد لا يمكن لغيره القيام بها. ناهيك على أن هذه الملاحظات قد تكون مسنودة بتسجيلات سمعية، أو سمعية بصرية أو بعض الصور مثل التي التقطت من طرف الصحفيين خلال حالة الهلع الذي حصل في ملعب ليما في البيرو في 25 مايو 1964 والذي خلف 400 ضحية، تلك الصور سمحت بإعادة رسم لتحرك الجماهير وخطوط حدوث الكارثة أي إمكانية رؤية سلوكيات وتصرفات التي قام بها الموجودون في التزام وإمكانية تفسير هذه السلوكيات.

وكذلك سمح التواجد السريع والفوري للفرق الطبية العقلية والفرق النفسية مباشرة بعد زلزال سكوبجيا Skopje في يوغسلافيا بالقيام بملاحظات مهمة حول ردود أفعال الناجين من الكارثة وخاصة إمكانية المقارنة بين مختلف الجماعات من الناجين من خلال هذه الردود والاستجابات.

### 5-2-4- المقاربة عن طريق استجواب الأحياء الناجيين:

هذا النوع من الاستجوابات أو التحقيقات لا بد أن يتم في أقرب وقت ممكن بعد الكارثة وذلك لتتم والضحايا- لا يزالون تحت وقع الانفعالات- يستحضرون الذكريات البصرية أو السمعية بوضوح، لأنهم ربما يحاولون بعد مرور مدة زمنية التعديل والتغيير في محتوى وشكل هذه الذكريات وذلك من أجل تفادي الإحساس بالذنب أو العجز.

هذه الاستجوابات ينبئنا بالحالة النفسية للضحايا ومدى تأثرهم الانفعالي وعجزهم وقدرتهم على المبادرة واتخاذ القرار ومعاشهم وكذا سلوكياتهم السوية وغير السوية.

وتبقى مقاربة الملاحظة والاستجواب الميداني (التحقيقات) محدودة لأننا لا نتمكن إلا من استجواب الأحياء والناجين دوناً عن الأموات الذين يشكلون بصفة أكيدة مصدراً مهماً للمعلومات حول الهلع والخوف وحالات الذعر والاستجابات غير السوية.

لذلك فإن ملاحظة والتحقيق في أماكن تواجد الجثث قد ينبئنا عن استراتيجيات تفكير بعض الضحايا مثلما حدث في كارثة سان لوران دوبون Saint-Laurent- du- Pont حيث أن أماكن تواجد الجثث دلت على خطوط الهرب التي اتخذها الضحايا . وكذلك سمحت نفس استراتيجيات البحث من تحديد أماكن تجمع واتجاهات وتقرير مواضع الملاجئ بعد 19 قرناً من حدوث كارثة بومباي.

### 5-2-5- المقاربة عن طريق سبر الآراء:

إن مراكز البحث والدراسات تعتمد في استكمال دراساتها الميدانية - خلال الكارثة - بإجراء تحقيقات واستجوابات عند السكان حول معارفهم فيما يخص الكوارث والتصرفات المتوقعة في حالة حدوثها . إلا أن هذا النوع من المقاربة يحمل بعض المساوئ أهمها الجانب التخيلي غير الواقعي

وهذا لأن الفرد الذي قد يجيب إجابات متكيفة يمكن له هو نفسه في حالة حدوث الكارثة في الواقع أن يتصرف بطريقة مغايرة وغير متكيفة تماما.

### 5-2-6- المقاربات التجريبية بالوضعيات التمثيلية:

تتلخص هذه التجارب في تمثيل وضعيات الكارثة وتدريبات حول عمليات الإخلاء للأماكن مما يحد من فاعليتها. لأسباب أخلاقية لا بد من إعلام الأفراد الخاضعين للتجربة بالجانب التمثيلي Simulé لها.

### 5-2-7 - المقاربة التجريبية عند الحيوانات الاجتماعية:

مثل مجتمعات النمل، وفئران التجارب... ويتم ذلك عن طريق إحراق أو إغراق أماكن تواجد هذه الحيوانات وملاحظة كيفية تصرفها ومختلف سلوكاتها، غير أن نقل هذا النتائج وتعميمها على السلوك الإنساني وتطبيقها في فهم السلوكات البشرية يبقى أمرا بالغ الصعوبة و متدني المصدقية.

### 5-2-8 - المقاربة التمثيلية عن طريق إحداث النماذج على الحاسوب:

تتم عن طريق الألعاب المتمحورة حول استراتيجيات الإخلاء في وضعيات أزمة ابتداء بإخراج عناصر اللعبة من مخارج ضيقة إلى إمكانية إخلاء أماكن في وضعيات كارثية. نلاحظ أن لكل منهج بعض النقائص أو السلبيات وانه للحصول على نتائج أكثر مصداقية يستحسن استعمال أكثر من منهج إذا أمن ذلك لضمان التكامل والدقة، كما يتوجب على الباحث اختيار المنهج المناسب لموضوعه.

## 6- الآثار النفسية للكوارث

تخلف الكوارث زيادة على الدمار والخراب المادي والموت والإصابات والجروح الجسدية المختلفة، صدمات أو هزات انفعالية Chocs émotionnels وردود أفعال نفسية قد تصل إلى حد تشكيل أعراض الصدمة النفسية التي تغير حياة ومعاش المتعرض لها نهائياً، لذلك تصنف الكوارث ضمن الأحداث الصادمة Traumatisant والتي تتحول إلى الصدمية Traumatique يبرز ذلك من تعريف الكارثة نفسها ومن خلال تعريف الحدث الصدمي والذي نتعرض له بالتفصيل في الفصل الصدمة النفسية.

تختلف ردود أفعال أو استجابات عقب الكوارث في نوعيتها وشدتها و مدى شذوذها أو تكيفها والمدة التي تستغرقها حسب عوامل متعددة تتعلق بالكارثة نفسها أو بالظروف المحيطة التي وقعت فيها أو قد تتعلق بالأفراد أنفسهم حسب الفروق الفردية بينهم في التوقع للحدث ومدى هشاشة جهازهم النفسي.

تتمحور كل ردود الأفعال حول مفهوم الضغط أو الإجهاد stress لأن عضويتنا في الواقع غير مؤهلة لأن تعيش في حالة طوارئ بل في جو روتيني مستقر. لذا يصاحب هذه الاستجابات أعراض مضايقة كخفقان القلب، وشحوب الوجه، و التعرق، والارتعاش، وتقلصات هضمية... كما أنها مكلفة جدا على مستوى الطاقة إلى درجة الإنهاك أحيانا. تنقسم هذه الردود إلى فردية وجماعية:

**6-1- الاستجابات الفردية:****6-1-1- استجابة الضغط التكيفي:**

وهي استجابة طبيعية وضرورية عند مجابهة أي تهديد أو خطر، في شكل رد فعل بيولوجي، فيزيولوجي ونفسي منذر عن خطر ومعرض للتعبئة والدفاع، بفضل آثاره النفسية الثلاثة: تركيز الانتباه، تعبئة الطاقة النفسية، والتحريض على الفعل والعمل. هذا إضافة إلى آثاره فيزيولوجية (تحرير السكر في الدم، رفع الضغط الدموي، توجه الكتل الدموية من المحيط نحو الأعضاء الداخلية تزايد التنفس، ارتفاع دقات القلب...) التي تجعل الجسم في غاية الاستعداد للفعل.

**6-1-2- استجابة الضغط المتجاوز:**

في الحالات التي يكون فيها الحدث ذو شدة كبيرة، أو الفرد الذي يتعرض له أكثر ضعفا (إرهاق، وحدة، استعداد مرضي.....) قد يستجيب الفرد باستجابة الضغط المتجاوز و التي يمكن أن توجز في أربعة عناصر:

- رد فعل الصعق Sidération يتمثل في التخدير العقلي، والتباعد العاطفي، والكف الإرادي والحركي. حيث يبقى الشخص ساكنا وسط الخطر دون قدرة على التفكير والحركة.
- رد الفعل التهيجي Agitation المنبعث من الاندفاع للفعل من غير أن يكون الشخص قادر على إرسان دفاعات التكيف مع الوضعية. ويظهر على شكل حركات غير متناسقة بسبب

الإثارة الزائدة النفس حركية Excitation psychomotrice

• رد فعل الهروب الفزع fuite panique هروب منفرد أو جماعي مندفع و وحشي، حيث يتم الاعتداء على كل من يعترض طريق الهروب. مما يزيد درجة الخطر على الفرد نفسه والآخرين.

• رد الفعل الآلي Gestes automatiques يقوم الفرد بسلوكات وحركات تبدو في ظاهرها تكيفية لكنها دون هدف وعموما لا يتذكرها الشخص بعد أن ' يستيقظ ' .Après coup.

### 6-1-3 – استجابة عصابية أو ذهانية:

في الحالات التي يكون الفرد حاملا للاستعداد مرضي، فقد نلاحظ ردود أفعال عصابية (هستيرية) أو ذهانية.

### 6-2 – الاستجابات الجماعية

عندما تحل الكارثة، تتجمع كل الأفكار والانشغالات الفردية لتصب في انشغال وحيد ناشئ عن الوضعية الجديدة الطارئة. لتنتج عنه نماذج سلوكية متماثلة:

### 6-2-1 – استجابات تكيفية :

وتتمثل عموما في إخلاء مكان الكارثة في نظام و سلوكيات منسقة من أجل المساعدة والإغاثة- قد تكون هذه السلوكيات منظمة أو تلقائية- ولكن ما يميزها هو احترام السلم الإداري Hiérarchie، تنظيم المهام واحترام الأخلاق والتضامن.



## 6-2-2- استجابات غير تكيفية:

منها الهروب الجماعي، الذهول أو خلط Confusion، حالة صعق جماعية، نزوح جماعي أو على عكس ذلك حركة عودة نحو مكان الكارثة مما يعقد ويعرقل عملية الإغاثة والإخلاء، الإشاعات المثيرة للتوتر... .

## 6-2-3- الاستجابات بعيدة المدى:

قد يحدث بفعل الكارثة على المدى البعيد تغييرات في اتجاهات وتقاليد وثقافة المجتمع المصاب، وهذا ما يطلق عليه ل.كروك "ذهنية ما بعد الكارثة" Mentalité post-catastrophique (Louis CROCQ ص 396)

قد تتكون ذهنية ايجابية مثال على ذلك اليابان حيث يشارك السكان في التدريبات الوقائية والإغاثة في جميع الأماكن والمؤسسات التعليمية وأماكن العمل، وذلك في الفتح من سبتمبر من كل عام إحياء لذكرى زلزال طوكيو ويوكوهاما في 1 سبتمبر 1923. ولكن قد تكون ذهنية سلبية مثل تقبل والاستسلام للكارثة كشر لا بد منه ورفض اتخاذ تدابير وقائية Fataliste، أو ذهنية اتكالية مع معاش احتجاجي... أو ذهنية محافظة بجوانبها الحسنة: ترابط وتضامن الناجيين من الكارثة، إحياء ذكرى المفقودين... وجوانبها السيئة: الانعزال الإرادي، الحذر المفرط من العالم الخارجي، ورفض داخلي لأي تغيير.

ومهما كان نوع هذه الاستجابات الفردية أو الجماعية وسواء أكان الضغط تكفياً أو متجاوزاً في ظروف الطوارئ، فإن هذا الضغط هو عبارة عن حالة تقع بعد الحدث مباشرة ويمكن أن تتطور على المدى البعيد إلى:

أ – إما التلاشي والزوال رويدا رويدا وأن يرجع الفرد إلى حالته الطبيعية خلال بضع دقائق إلى بضع ساعات.

ب – أو بعد فترة كمون ظهور أعراض مرضية تسمى حسب المدرسة الفرنسية زملة ما بعد صدمة Syndrome Post-Traumatique أو حسب المدرسة الأنجلوساكسونية و تصنيف DSM IV حالة الضغط ما بعد الصدمي Etat de Stress Post Traumatique -PTSD. وبالتالي يتحول الأثر الكارثي إلى ما يعرف بالصدمة النفسية. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل الرابع.

#### 7- اهتمامات الهيئات العالمية بالكوارث:

إن سبب رسوخ الكوارث بما فيها الكوارث الطبيعية في الذاكرة الجماعية الإنسانية يعود أساسا لما تخلفه من أضرار مادية معتبرة وخسائر كبيرة في الأرواح ( مثال على ذلك تاريخ كارثة الزلزال في العالم خلال 20 سنة الماضية الملحق رقم... ) مما يستوجب تجند الإنسانية بأكملها ليست فقط للمساعدة في عمليات الإنقاذ و الإغاثة بعد وقوع الكوارث بل لمحاولة التآهب والوقاية منها كلما أمكن ذلك. و ذلك من خلال دراسة إمكانية توقع حدوث الكوارث والإعداد لمواجهتها والتخفيف من أضرارها سواء المادية أو البشرية ومنها على الصعيد النفسي، نظرا لما تخلفه الكوارث من آثار نفسية سلبية قد تصل أحيانا إلى مستوى الصدمة النفسية التي تعيق صاحبها من مواصلة حياته بطريقة طبيعية وكذلك تحضير سكان المناطق الأكثر تعرضا لها بإجراء تدريبات مناسبة حول السلوكيات اللازمة قبل وعند وبعد وقوع الكارثة، وخلق ثقافة المواجهة والحد من الكوارث عن طريق تبادل التجارب الكارثية بين الدول والهيئات والتنسيق بين الجهود والأبحاث العلمية في شتى المجالات المتعلقة بالكوارث في الجامعات

و مؤسسات البحث العلمي العالمية. وأكبر مثال على هذا الاهتمام العالمي و التدخل الدولي ممثلاً في المؤسسات الدولية مؤسسة الأمم المتحدة التي أعلنت يوم 13 أكتوبر 2004 اليوم الدولي للحد من الكوارث الطبيعية تحت شعار " التعلم من كوارث اليوم لمواجهة أخطار الغد" فبموجب (القرار رقم 236/44 ، بتاريخ 22 ديسمبر 1989) (نشرية الأمم المتحدة) ، عينت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم الأربعاء الثاني من شهر أكتوبر ليكون اليوم الدولي للحد من الكوارث الطبيعية. وقد واصلت الأمم المتحدة الاحتفال بهذا اليوم العالمي بشكل سنوي خلال العشرية من 1990-1999.

كما أعلنت العشرية أو العقد 1990-1999 العقد الدولي للحد من الكوارث الطبيعية.

وفي عام 2001 قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإبقاء على الاحتفال بهذا اليوم في يوم الأربعاء الثاني من شهر أكتوبر (القرار رقم 195/56 ، بتاريخ 21 ديسمبر)، وذلك من أجل تعزيز ثقافة الحد من الكوارث الطبيعية على المستوى الدولي بما في ذلك منع الكوارث والتخفيف منها والتأهب لها.

وقد جاء موضوع اليوم الدولي للحد من الكوارث هذا العام 2004 وهو " التعلم من كوارث اليوم لمواجهة أخطار الغد"، ليزكرونا بأن مهمة التعلم من الكوارث تهمنا جميعاً.

تتكون ثقافة أي مجتمع من العلاقات والتنظيمات الاجتماعية والاعتقادات والعادات السلوكية والتي تنتقل من جيل إلى جيل وتحدد التحديات و المشكلات التي يجابهها هذا المجتمع وطرق مجابهته لها، وتتضمن هذه التحديات مشكلات البقاء والمتطلبات التي تتبع من التاريخ الفريد لكل مجتمع وجغرافيته وغير ذلك من المظاهر البيئية كالموارد الطبيعية والمناخ وخصائص المجتمعات المجاورة. وتنتقل الثقافة وتستمر عن طريق التنشئة والتعليم والضغوط الاجتماعية ويعتمد الإنسان على ثقافته لكي يكون لديه نظرة متكاملة وأسلوب معين نحو الحياة ويتقبل متطلبات ثقافية على أنها الشيء العادي والمقبول، ويؤدي ذلك إلى اشتراك أبناء الثقافة الواحدة في نظرتهم نحو العالم ومدهم بأسلوب مشترك للتفكير والسلوك.

و تستمر الثقافة للأمن الذي يشعر به أفرادها في المألوف، ويتم انتقالها عن طريق كل مؤسسات المجتمع وتنظيماته مثل الأسرة ومؤسسات التربية والدينية ووسائل الإعلام والشارع.... ولكن ذلك لا يمنع حدوث التغيير الثقافي نتيجة لعدة عوامل أهمها التجديد و الاستعارة الثقافية والتغيير التكنولوجي.

**1-تعريف الثقافة:**

ويعزى الفضل لتايلور في أنه أول من قدم تعريفا للثقافة وكان ذلك منذ حوالي قرن من الزمان بأنها: " ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والعادات وأي قدرات أخرى وعادات اكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع"(سعد جلال ص 92).

يؤخذ على هذا التعريف أنه وإن شمل مجمل الفئات مختلفة التي تتكون منها الثقافة إلا أنه تعريف وصفي يتجاهل عنصر التكامل بين هذه الفئات التي تتداخل مكونة نسيجاً واحداً تتكون منه النظم الاجتماعية المختلفة.

وجاء تعريف لرافل لنتون Ralph Linton سنة 1945 يسد النقص في التعريف السابق بتأكيد التكامل والتعلم، إذ يعرف الثقافة " بأنها الشكل العام للسلوك المتعلم، ونتاج هذا السلوك ... يتناقله أعضاء مجتمع بعينه". وعملية النقل في هذا التعريف تدل على أهمية اتصال الثقافة واستمرارها على مر الزمن.

فالثقافة في الواقع متعلمة، وثقافات العالم ما هي إلا أنسقة من العادات الجماعية، أما الفروق التي نلاحظها بينها فهي نتاج لتراكمات التعلم الجماعي تحت ظروف جغرافية واجتماعية مختلفة. إن كان من الصعب الإجابة على كيف تتكون الثقافة إلا أنه من الممكن القول أن كثيراً من العادات لها قيمتها الوظيفية في إشباع حاجات أعضاء المجتمع.

والثقافة ينقلها الآباء للأبناء ولذلك يعرفها البعض بأنها انتقال سبل التكيف مع البيئة التي توصل إليها الآباء والأجداد للأبناء، إذ تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل عن طريق النظم الاجتماعية في المجتمع كالأُسرة والمدرسة التي تؤثر في الطفل في سن مبكرة، لذا يصبح من الصعب تعديل الأنماط الثقافية للسلوك.

**2-مظاهر الثقافة:**

ونلاحظ من تعريف الثقافة أنها بشكل أو بآخر تؤكد تداخل مظاهر ثلاثة هي: التقاليد والرمزية

والتكامل.

**2-1-التقاليد:**

وتعني التقاليد استمرار الثقافة من ناحية أنها تمد الفرد بما يوجهه في تصرفاته إزاء متطلبات

الحياة الإنسانية في حالات الولادة مثلا والوفاة والعلاقات بين الأقرباء... فهذا الشكل تقوم الثقافة

بإملاء تنظيم المجتمع والعلاقات الاجتماعية في اتجاهات تستمر دون وعي من الناس، كما تمد الفرد

بإجابة جاهزة للتصرف في كثير من المواقف بردود تكون مألوفة ومما اعتاد عليها الناس في ثقافتهم.

**2-2-الرمزية:**

ويعتبر استخدام الرموز من أهم ما يتميز به الإنسان على الحيوان، وتبين الرمزية أهمية

الخبرة غير المادية وكذلك أهمية انتقال الأفكار والمعلومات دون الوجود المباشر للأشياء ذاتها، واللغة

بطبيعة الحال هي أوضح تعبير عن الرمزية وعن وجود هذه الخاصية في الإنسان فإن جزءا هاما من

تأثير الثقافة يوجد في آثارنا النفسي.

**2-3-التكامل:**

إن تكامل الثقافة لا يمكن فصله عن التقاليد أو عن الرمزية لأنه يتوقف على كليهما، فكل

المجتمعات فيها نظم اجتماعية مثل الأسرة والحومة ونظام التعليم ونظام اقتصادي، وهذا هو لب

التكامل الاجتماعي والتغير الذي يطرأ على واحد منها يؤثر في الآخرين.

### 3- المظاهر النفسية للثقافة:

يمكن تصنيف المظاهر النفسية للثقافة تحت القيم و الإدراك و التوقعات الاجتماعية في شكل مكانات وأدوار و سلوكيات، ويعتمد المجتمع على الاتفاق العام الذي يسود بين أبنائه على ما هو حتمي ويتمثل ذلك في القيم ولكل ثقافة نسق للقيم تتميز به عن ثقافة أخرى. ويتوقف الإدراك على البروز الوظيفي والمألوفية ونظم الاتصال ليكونا معا أسسا للتوقعات الاجتماعية.

#### 3-1- نسق القيم :

توجد في أي مجتمع من المجتمعات البشرية قيم متوارثة تم الاحتفاظ بها على مر العصور كجزء من الثقافة الضمنية، ويؤدي تشرب الأفراد لهذه القيم أنها تصبح دوافع في تكوينهم النفسي تشكل سلوكهم، وتحدد هذه القيم قواعد السلوك، ويتفاوت الناس فيما بينهم في تمسكهم بهذه القيم في حياتهم.

و من أهم مظاهر القيم أنها رمزية فهي توجه السلوك كما يفسر السلوك في ضوءها. كما انه من المستحيل أن يحتفظ أي مجتمع بتماسكه واستمراره ما لم يشترك أعضاؤه في قيم معينة تسود بينهم.

وبالرغم من أن القيم في المجتمع الواحد قد تتعارض، وأن كثيرا من الأفراد لن يعدوا تمسكهم بالقيم، فإن هذا لن يغير من حقيقة أن القيم لها وظيفتها التوجيهية في الثقافة.

#### 3-2- الإدراك:

تمت في الأربعينات عدة دراسات لبيان أثر الثقافة الفرعية على الإدراك من بينها دراسة برونز وجودمان سنة 1947: Brunner & Goodman: إذ طلبا من مجموعة من الأطفال من أبناء عائلات فقيرة توسيع أو تضيق ثقب مستدير حتى يصبح الثقب مساويا لحجم قطع من النقود، كما

طلبا من أطفال من أبناء عائلات ثرية القيام بنفس العملية، فنتبين أن أبناء الفقراء أعطوا للنقود أحجاما أكبر من قيمتها نتيجة لحرمانهم منها وعدم مألوفيتها لهم. فإدراكنا لما يحيط بنا عرضة لما هو مألوف في الثقافة وغير مألوف في ثقافة أخرى.

### 3-3- المعايير والتوقعات الاجتماعية:

إن الطفل يتعرض بحكم نموه في ثقافته لنماذج مناسبة، وهو بذلك يتعلم ما يتوقعه الآخرون منه وما يتوقع منهم. وهذه التوقعات هي الأساس فيما يسمى بالمعايير الاجتماعية والأدوار والمكانات الاجتماعية. فكل فرد يسلك في حدود المعايير الاجتماعية التي تمليها الثقافة.

وبما إن للثقافة مصادر تنتقل من خلالها من جيل إلى جيل وهي في ذات الوقت نتاج هذه الثقافة، أهمها المصادر اللغوية مثل المصادر الدينية والأساطير والحكايات والقصص الشعبي والأمثال الشعبية إلخ... ولمقاربة تصور الكوارث الطبيعية في الثقافة الجزائرية فقد اخترنا اعتماد ثلاثة مصادر مهمة من مصادر الثقافة الجزائرية حول الكارثة الطبيعية ومحاولة تحليل محتوى نماذج منها وهي المصادر الدينية (بعض آيات القرآن الكريم) التي جاء فيها ذكر الكوارث الطبيعية والأسطورة أو الخرافة الشعبية والإشاعة التي تدور أحداثها حول الكوارث الطبيعية. وقد تم اختيارنا لهذه المصادر كونها تحتوي على معلومات و معارف تقابل المعرفة العلمية والتي هي عنصر أساسي في دراستنا، وذلك بسبب أن المعارف الدينية تعتمد على الغيب بينما ترفضه المعرفة العلمية و تعتمد على التجربة والقياس وكذلك تعتمد الأساطير والإشاعات على المعارف الساذجة ومحاولات تفسير غير علمية.



## 4- الكوارث الطبيعية في المصادر الدينية

إن التجربة الدينية تجربة إنسانية عالمية، فلم يوجد شعب يخلو تراثه من الأدب الديني. ويعتبر الاعتقاد الديني و العاطفة الدينية من المسائل التي يتعامل معها الغالبية من الناس كمسلمات في الحياة، مما يجعل من الدين مكونا مهما لثقافة أي مجتمع و مشكلا أساسيا للتصورات الاجتماعية لأنه يشكل مصدرا من أهم مصادر المعلومات و بناء المعرفة كما أنه يشكل جزءا مهما إن لم يكن الأساس في نسق أو نظام القيم لأي مجتمع بما يشكله من محرمات أو طابوهات أو مباحات، كما انه يحدد في غالب الأحيان علاقة الفرد بنفسه ومحيطه و بالحياة نفسها وكذلك علاقة الأفراد فيما بينهم، كما يمكن له أن يحدد الأدوار و المكانات داخل المجتمع ويشكل التوقعات و الانتظارات.

#### ما جعل بعض الباحثين يقول بوجود الغريزة الدينية *L'instinct religieux*

(عبد المنعم الحفني ص74)، حيث تعتبر هذه الغريزة الفيصل بين المستويين من الوجود الإنساني والحيواني، و أنه كلما ارتقى الإنسان وجدانيا كلما كانت له إشراقات أو فيوضات صوفية كونية، قد تعبر عن نفسها تعبيراً دينياً صريحا، أو تكون اهتماما أو "هما" بالوجود و بقضايا الإنسان الوجودية. و المجتمع الجزائري كسائر المجتمعات التي تدين غالبتها بالدين الإسلامي يجعل من الإسلام مصدرا هاما للمعرفة وموجها أساسيا للسلوك ومحددا للتوقعات و مسيرا للعلاقات، وإن كان في كثير من الأحيان يصعب الفصل بين ما هو ديني خالص وما هو موروث ثقافي اجتماعي مثل التقاليد والأعراف الاجتماعية التي قد تكون أحيانا معارضة للنص الديني نفسه.

و بما أن القرآن الكريم هو أهم مصدر للشريعة الإسلامية فلقد ارتأينا سرد بعض نماذج من

ذكر القرآن الكريم للكوارث الطبيعية وكيف جاء تقديمها في بعض الآيات الكريمة.

## 4-1- ذكر الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم بصيغة التحذير

جاء ذكر الكوارث الطبيعية في آيات قرآنية كثيرة تحذر الناس من معصية الله ومخالفة

تعاليمه وأوامره ونواهيه

• كما جاء في سورة الإسراء (68 - 69)

( أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ

أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69) )

• وفي سورة الملك (16 - 17)

(أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ

يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)

• كما جاء في سورة العنكبوت (40):

(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ

الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

في هذه الآيات يوضح السرد القرآني بشكل عام دون تخصيص للأمم التي ارتكبت الذنوب

والمعاصي العلاقة بين معصية الله عز وجل ووقوع العقاب على العصاة في شكل كوارث طبيعية:

منهم من قضى عليه بـ " الحاصب " الذي يتوضح معناه من آيات القرآن انه الريح

العاصف المهلك الذي يعصف بكل شئ ويصعبه الحصى الصغيرة.

ومنهم من قضى عليه بـ " الصيحة " وهي الزلازل وما يصاحبها من أصوات مخيفة مثل أصوات الرعد والبرق.

ومنهم من قضى عليه بأن خسف بهم الأرض مثل قارون، ومنهم من أغرقهم عن طريق الطوفان أو الفيضان كما في حادثة نوح، أو إغراقهم في البحر كما في حادثة فرعون وجنوده.

#### 4-2- ذكر الكوارث الطبيعية في القرآن الكريم على شكل عقاب إلهي

لقد قدم القرآن الكريم هلاك المدن القديمة وشعوبها على شكل قصص منها ما تكرر أكثر من مرة مثل هلاك قوم عاد وقوم ثمود وقوم سيدنا نوح وقوم سيدنا لوط وفي كل هذه القصص تكون الكارثة الطبيعية هي العقاب العادل من الله اتجاه أقوام عصوا الله وأشركوا به و كذبوا أنبيائه وعاثوا في الأرض فسادا...ونذكر نماذج من هذه القصص.

#### 4-2-1- قصة قوم عاد

هم شعب سامي أقام مدينته وحضارته في بلاد العرب القديمة قبل الإسلام بمئات السنين، ولقد اندثرت مدينتهم وحضارتهم. جاء في القرآن عن هذه المدينة و شعبها في سورة الأعراف (69)

(أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَنْذِرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ)

و في قول الله عز وجل في القرآن الكريم " وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً " أي أنهم كانوا من عمالقة الأجسام، فما الذي حدث لهؤلاء الجبابرة والعمالقة ؟ وكيف انقرضوا أو أبيدوا ؟ ولماذا ؟ وما هي الأسباب ؟

وجاء في القرآن الكريم أجوبة هذه الأسئلة :

• في سورة فصلت (15 - 16)

(فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (16))

• و في سورة الأحقاف (21-25)

(وَأذْكَرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنِ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرْنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25))

• و في سورة الذاريات (41-42)

(وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42))

• و في سورة الحاقة (6-8)

(وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) )

• و في سورة الشعراء (139)

(فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139))

## • و في سورة القمر (18-20)

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) )

ومن كل هذه الآيات نستخلص ما يلي:

1 - سبب هلاك عاد هو أن أهلها كذبوا الله بتكذيب نبيه الذي أرسله لهم، كما أنهم كانوا من المذنبين الذين عاثوا في الأرض فسادا.

2- طريقة الهلاك: الرياح والأعاصير والعواصف أي نوع من الكوارث الطبيعية.

وبعد جمع كل هذه الصفات المذكورة في الآيات فإن الريح التي دمرت عاد بحسب ما جاء في القرآن الكريم هي: ريح صرصر، عاتية، عقيم، مهلكة، مدمرة، معذبة. ومعنى " صرصر " كما جاء بكتب التفسير: " أي باردة شديدة البرودة وكانت ذات صوت مزعج ... وقال بعضهم وهي الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك" (تفسير ابن كثير ج 4 ص 97). مما يوضح أنها لبست ريح عادية بل لها صفات تتوافق مع صفات الأعاصير.

## 4-2-2- هلاك مدينة ثمود وشعبها

وفي قصص القرآن الكريم يرد ذكر مدينة أو حضارة أخرى قديمة لم يبق منها في عهد البعثة إلا الأطلال والذكريات وهي قوم ثمود.

وقد قدم القرآن الكريم تفسيراً لهلاك هذه المدينة وأهلها حيث يروى القرآن أن قوم ثمود كانوا من الطغاة فأرسل الله لهم رسولا اسمه صالح ليعظهم ولينذرهم ويحذرهم من غضب الإله، فما

التفتوا إليه، وتحديا منهم طلبوا منه أن يخلق ربه لهم من الحجر ناقة، فاستجاب لهم الله واخرج لهم ناقة من الحجر وأمرهم أن لا يمسوها بأذى و أن يقسموا المياه بينها وبينهم، فنتشرب الناقة يوم ويشربون هم وأنعامهم يوم. و سارت الأمور على ما يرام مدة من الزمان إلى أن قام قوم ثمود بعقر الناقة، أي قتلها وهنا غضب الله عليهم وأهلكهم.

ولقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في الآيات التالية:

• سورة القمر (23-31)

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ (24) أُولَٰئِكَ  
الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ (26) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ  
فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ  
فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ  
الْمُحْتَضِرِ (31) )

• وفي سورة الأعراف (73-79)

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ (73) وَاذْكُرُوا  
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا  
فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ  
اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ  
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ

أَتَيْنَا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (7) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79))

• أما في سورة الحاقة (4-5)

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5))

• و كذلك في سورة فصلت (17-18)

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ (17) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْتَقُونَ (18) )

• وفي سورة الذاريات

(وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ

يَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45) )

ونلاحظ من الآيات المتعددة لنفس الحادثة اختلاف سبب العقاب الالهي، فهناك آيات ترجع

السبب إلى معصيتهم لله دون إشارة إلى " ناقة الله وعقرها " وآيات ترجع سبب العقاب صراحة إلى

عقر الناقة. و أيا كان الأسباب فإن الثابت هو زلزال هائل قضى على مدينة ثمود، بعد أن فسد أهلها

وكفروا بتعاليم الله وأوامره.

## 4-2-3- هلاك قوم لوط (سدوم وعمورة)

عرف قوم لوط بأنهم أول قوم انتشرت بين رجالهم العلاقات الجنسية المثلية، حيث كانوا يعاشرون الرجال ويرغبون عن النساء. حتى أن لفظ لواط أصبح يدل على الممارسة نفسها ولواطى أو من قوم لوط يطلق على كل من يتصف بهذه الصفة في أي زمان ومكان.

وقد جاء ذكر قصتهم في الكتب السماوية و في الأساطير المنتقلة عبر الأجيال مفادها أنهم غيروا فطرة الله في العلاقات الجنسية فحاول سيدنا لوط أن يعظهم و يحذرهم من عاقبة أعمالهم إلا أنهم لم يستجيبوا له، فغضب الله عليهم فأهلك المدينة وأهلها بعد أن أنقذ سيدنا لوط ومن آمن معه.

أولا - قوم لوط كما جاء ذكرهم في القرآن الكريم في الآيات التالية:

## • سورة الأعراف (80-84)

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْتَهَرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84) )

## • سورة هود (77-83)

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَوُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْقِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (7) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا



إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنَّ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83) )

• سورة القمر (33-34)

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34) )

من كل ما سبق من المشاهد القرآنية يثبت ما يلي:

- 1- أن فاحشة اللواط انتشرت في قوم لوط ولم تعد مسألة شذوذ أفراد بل صبغة مجتمع لدرجة أنهم جاءوا سيدنا لوط يريدون ممارسة الجنس مع ضيوفه، وهم ملائكة في شكل رجال.
- 2- أن سيدنا لوط قد حاورهم وحاول ردهم عن المعصية بكل الوسائل لدرجة انه عرض عليهم بناته: (قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي)، لكن قومه أصروا على المعصية: قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
- 3- أن الله عاقبهم بالحاصب في آية وبالمطر في آية أخرى وبأن جعل عليها سافلها وأمطرهم حجارة ويقول سيد قطب في هذا: " هي صورة للتدمير الكامل... هي أشبه شيء ببعض الظواهر البركانية التي تحسف فيها الأرض فتبتلع ما فوقها ويصاحب ذلك حمم وحجارة ووحل " (سيد قطب المجلد الرابع، ص608).

لم ينفرد القرآن الكريم بذكر قصة قوم سيدنا لوط بل ذكرت أيضا في التوراة وكذلك دلت على

أحداثها التاريخية البحوث العلمية.

## ثانيا- قصة قوم لوط في التوراة

قدمت التوراة تفسيراً لهلاك منطقة " ارض دائرة الأردن" (فراس السواح ص 206) التي كان

يعيش فيها -حسب التوراة- لوط ابن أخى إبراهيم-

فقال أن يهوه (الله بلغة التوراة) أهلكتها وأبادهها بان أنزل عليها نارا وكبريتا من السماء

فهلكت جميع مظاهر الحياة هناك، وأرجعت التوراة سبب ذلك إلى فساد أهلها حيث انتشر اللواط

بينهم.

## • في تكوين 13

12 إبرام سكن في ارض كنعان و لوط سكن في مدن الدائرة و نقل خيامه إلى سدوم

13 و كان أهل سدوم أشراراً و خطاة لدى الرب جدا

## • وفي تكوين 18

20 و قال الرب أن صراخ سدوم و عمورة قد كثر و خطيتهم قد عظمت جدا

21 انزل و أرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الأتي إلي

## • أما تكوين 19

1 فجاء الملاكين إلى سدوم مساء و كان لوط جالسا في باب سدوم فلما رأهما لوط قام

لاستقبالهما و سجد بوجهه إلى الأرض

2 و قال يا سيدي ميلا إلى بيت عبدكما و بيتا و اغسلا أرجلكما ثم تكررنا و تذهبنا في

طريقكما فقالا لا بل في الساحة نبيت

3 فالح عليهما جدا فمالا إليه و دخلا بيته فصنع لهما ضيافة و خبز فطيرا فأكلا

4 و قبلما اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشعب

من أقصاها

5 فنادوا لوطا و قالوا له أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة أخرجهما إلينا لنعرفهما

6 فخرج إليهم لوط إلى الباب و أغلق الباب وراءه

7 و قال لا تفعلوا شرا يا إخوتي

8 هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلا أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم و أما هذان

الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي

9 فقالوا ابعدا إلى هناك ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليتغرب و هو يحكم حكما الآن نفعل بك شرا

أكثر منهما فالحوا على الرجل لوط جدا و تقدموا ليكسروا الباب

10 فمد الرجلان أيديهما و ادخلا لوطا إليهما إلى البيت و أغلقا الباب

11 و أما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن

أن يجدوا الباب

12 و قال الرجلان للوط من لك غيضا ههنا أصهارك و بنيك و بناتك و كل من لك في

المدينة اخرج من المكان

13 لأننا مهلكان هذا المكان إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه

14 فخرج لوط و كلم أصهاره الآخذين بناته و قال قوموا اخرجوا من هذا المكان

لان الرب مهلك المدينة فكان كمازح في أعين أصهاره

15 و لما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك و ابنتيك الموجودتين

لئلا تهلك بإثم المدينة

16 و لما توانى امسك الرجلان بيده و بيد امرأته و بيد ابنتيه لشفقة الرب عليه و أخرجاه

ووضعه خارج المدينة

17 و كان لما أخرجاهم إلى خارج انه قال اهرب لحياتك لا تنظر إلى ورائك و لا تقف في

كل الدائرة اهرب إلى الجبل لئلا تهلك

18 فقال لهما لوط لا يا سيد

19 هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك و عظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي و أنا

لا اقدر أن اهرب إلى الجبل لعل الشر يدركني فأموت

20 هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها و هي صغيرة اهرب إلى هناك أليست هي صغيرة

فتحيا نفسي

21 فقال له إني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضا أن لا اقلب المدينة التي تكلمت عنها

22 أسرع اهرب إلى هناك لأنني لا أستطيع أن افعل شيئا حتى تجيء إلى هناك لذلك دعي اسم

المدينة صوغر

23 و اذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر

24 فأمطر الرب على سدوم و عمورة كبريتا و نارا من عند الرب من السماء

25 و قلب تلك المدن و كل الدائرة و جميع سكان المدن و نبات الأرض

26 و نظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح

ثالثا- قصة مدينة لوط في البحوث التاريخية

وعن حقيقة ما حدث لمدينة سدوم وعمورة ( مدينة قوم لوط بتعبير القرآن ): " دلت الكشوف والبحوث التاريخية على أن الأقاليم المجاورة للبحر الميت - اى أرض دائرة الأردن - كانت عامرة أهلة بالسكان إلى حوالى سنة 2000 ( ألفين ) قبل الميلاد. وبعد ذلك وقعت كارثة مروعة وصفها بعضهم بأنها شبيهة بانقلاب بركاني أو بانفجار ذريع بجوف الأرض اندلعت منه نيران ولهب ارتفعت فى الجو ثم نزلت على الناس نزول المطر، ونتيجة لذلك خربت تلك البقاع وبقيت بلقعا خاليا خاويا مدة قرون عديدة " ( فراس السواح ص 211 )

إذا ما قارننا قصة هلاك قوم لوط فى القرآن الكريم و كذلك نفس القصة فى التوراة نرى أن هناك تطابقا شبه كامل بينهما، ثم يأتي الوصف التاريخي لما حدث لمدينة سدوم وعمورة مشابها لوصف التوراة ثم جاء فى القرآن الكريم بعد ذلك. مما يجعل من هذه القصة تراثا تاريخيا عالميا يكرس فكرة العقاب الإلهي للعصاة والظالمين عبر الظواهر الكونية الخارقة كالكوارث الطبيعية مثل الانفجار البركاني الذي أصاب سكان مدينتي سدوم وعمورة لأنهم خالفوا أوامر الله.

### 5- الكارثة الطبيعية فى الأسطورة الجزائرية

لقد كانت مسألة خلق العالم و نشأته و بدايته و أصل الأشياء و الحياة الإنسانية من أول المسائل التي شغلت العقل البشرى وكذلك بالنسبة للموت والفناء ونهاية العالم، فكل شعب من الشعوب الإنسانية لديه أساطير عن الخلق و التكوين و أصل الأشياء ونهايتها، وفي مختلف الثقافات وعبر كل الحضارات توجد تفاسير حول "كيف نشأت الأشياء و الكائنات وإلى أين تؤول".

و على العموم يكشف معظم الأساطير عن موقف الرجل (البداي) من العالم الخارجي و رؤيته

و محاولته فهم العالم و تفسير ظواهره.

و الأمر الذي يثير الانتباه أن الأسطورة الواحدة منتشرة في مجتمعات مختلفة في أنحاء مختلفة في القارات جميعها.. و لا تزال الشعوب الحديثة تحتفظ ببعض عناصر من هذه الأساطير التي تظهر في حكايات و قصص الأطفال، على الرغم من اعتبارها جزءا من الفكر الخرافي غير العلمي، فقد صارت الأسطورة حكاية مسيلة.

### 5-1-تعريف الأسطورة وأنواعها

فالأسطورة أداة للمعرفة و الكشف و الفهم ... و التوصل إلى الحقائق و وضع نظام مفهوم ومعقول للوجود يقنع به الإنسان و يجيد مكانه الحقيقي ضمنه و دوره الفعال فيه. إنها الإطار الأسبق والأداة الأقدم لتفكير الإنساني المبدع الخلاق ) و من ثم فهي تتيح للفرد أن يكتسب المنظور الشامل المعرفي الجماعي. و هكذا يتوضح أن العلاقة بين الأسطورة و التصورات الاجتماعية وثيقة للغاية إذ تعبر الأساطير عن التصورات الاجتماعية.

و الأسطورة هي قصة تحكى عن القوى الخارقة أو الآلهة و الأبطال و أشباه الآلهة، كما يحكى معظمها عن النشأة الأولى للأشياء و كيفية تكوينها على ما هي عليه. و تشير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى الميلاد و التزاوج و الإنجاب و المرض و الموت. و كثيرا ما تكون الأفعال التي ترويه الأساطير خيالية غير حقيقية خارقة للطبيعة و لا أخلاقية و لا منطقية. تكثر فيها الانتهاكات للقواعد الأخلاقية و عدم الالتزام بالقواعد و المبادئ و التشريعات، فكل ما فيها من أفعال مباح.

و الأساطير عدة أنواع منها الأساطير الطبيعية، و أساطير الحيوانات و أساطير النباتات و كلها تعبر عن مظاهر الطبيعة و حيوانات و نباتات معينة ككائنات تتطوي على الحياة و ترتبط حركاتها بقوى غيبية لها القدرة على فعل كل شيء و تتدخل في حياة الجماعة مما يدل على ارتباطها بالواقع

الاجتماعي و الثقافي و النفسي للجماعات الإنسانية. و هناك أيضا الأساطير الدينية التي تدور حول أصل الإنسان و نشأته و ظهوره على سطح الكرة الأرضية و الجد الأول الذي ينتسب إليه. و أخيرا أساطير الموت و الحياة و تدور حول الاعتقاد في روح هي علة الحياة و هي قادرة على الانفصال عن الجسم دون أن يؤدي إلى الموت.

تختلف الأسطورة عن الحكاية الشعبية، فالأخيرة خرافة لا تحمل طابع القداسة. و لا تلعب الآلهة أدوارها، و لا تنطرق إلى الموضوعات التي تتناولها الأسطورة، و إنما تقتصر على حدود الحياة اليومية و الأمور الدنيوية العادية كمكر النساء و مكائد زوجات الرجل و قسوة زوجة الأب و غير ذلك. و قد تلعب الحكاية الشعبية دورا ثقافيا شبيها بدور الأسطورة و الحكم و الأمثال الشعبية ولكنها تفتقد قوة الأسطورة التابعة من جانبها الاعتقادي.

و لقد صارت الأساطير في نظر إنسان العصر الحديث حكايات خرافية، تخرج كلية عن المنطق و التفكير العلمي الموضوعي، و لا تتعدى كونها مثيرا لإبداعات في مجالات فنية متعددة ومع ذلك فالأسطورة تحيي بين أفراد المجتمع الذي ينكر صدق وقائعها. فهي تختفي وراء بناء مجتمعهم وتنظيمهم الاجتماعي، فهي تنتقل في ضميره الجمعي.

و لهذا شغلت الأسطورة التفكير الاجتماعي و الانثربولوجي و النفسي و غيرهم من مجالات المعرفة في محاولة فهم الإنسان و سلوكه و آليات تفكيره و عواطفه و دوافعه كما ذكر من قبل، فظهرت عدة اتجاهات في تفسيرها.

و لا يهم التحقق التاريخي من صدق الأساطير، و لا يمكن تحقيقه مطلقا لانتقالها عن طريق القص من جيل إلى جيل لأن الأسطورة هي ظاهرة ثقافية اجتماعية فهي صادقة صدقا اجتماعيا وهكذا يتحتم النظر إليها بغض النظر عن كونها نتاج التفكير الخرافي غير العلمي أو أنها حكايات خرافية.

## 5-2- الاتجاهات النظرية في تفسير الأسطورة:

لقد ظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر عدد من النظريات التي تحاول تفسير الأسطورة و بيان

دلالاتها و بواعثها و وظيفتها الاجتماعية. و يمكن حصرها بإيجاز فيما يلي:

أولاً: فقد رأى البعض أصحاب " المدرسة الطبيعية الرمزية " أن الظواهر الطبيعية، القمر

والشمس مثلاً: هي مصدر هذه الأساطير و أصولها. و حتى و لو لم تكن ترتكز على الظواهر

الطبيعية فهي تتصل بها بطريقة ما لتعبر عنها، و من ثم تتضمن الأساطير الرموز عن هذه الظواهر.

فالأسطورة على وجه العموم تقدم الأسباب الكامنة وراء كثير من هذه الظواهر، و ذلك لان الأسطورة

قد وجدت لكي تفسرها تفسيراً طبيعياً.

ثانياً: رأى البعض الأخر أصحاب " المدرسة التاريخية " أن الأسطورة ليست نتائج الخيال،

وإنما هي ترجمة و تسجيل تاريخياً حقيقياً، أو حسب تعبير مالمينوفسكى " حولية تاريخية ". و قد لجأ

إليها الإنسان ليسجل وقائع قد حدثت بالفعل في زمن لم يكن قد عرف فيه الكتابة. و قد دخل عليها

بعض عناصر الخيال، فأخذت طابع القصص مما ساعد على حفظها. و يستند أصحاب هذا التفسير

التاريخي للأساطير إلى عمومية بعضها و انتشارها و تشابهها لدى كثير من الشعوب مثل أساطير

الطوفان أو الدمار الشامل بالنار السماوية أو الأعاصير. فإن لعمومية بعض الأساطير تشابهها دلالة

على التجارب المشتركة.



ثالثا: المدرسة الأخلاقية التي تفسر الأساطير باعتبارها مجرد تعبيرات رمزية تهدف إلى رفع الحس الأخلاقي من خلال النصائح و الإرشادات، و ترمى إلى الحث على مكارم الأخلاق. و في هذا المدرسة لا يميز أصحابها بين الأسطورة و القصص الخرافية.

رابعا: الأسطورة في مدرسة التحليل النفسي يرى سيجموند فرويد S. Freud في كتابه «تفسير الأحلام» أن الأسطورة حقيقة نفسية. و يقول فرويد بوجود تشابه بين الأسطورة و الحلم من حيث آليتهما و رموزهما فهما نتاج العمليات النفسية اللاشعورية، وفي الأسطورة كما هو الحال في الحلم تقع الأحداث حرة خارج قيود و حدود الزمان و المكان.

### 3-5- نماذج من الأساطير الجزائرية:

كما لا يخلو تراث المجتمع أو حضارة من الأساطير والخرافات التي تنتقل من خلالها ثقافة هذا المجتمع خارج قيود الزمان والمكان، انتقلت الأساطير والحكايات الشعبية من جيل إلى جيل من المجتمع الجزائري.

### 3-5-1- أسطورة حمام المسخوطين:

في المنطقة الموجود بها الحمام اليوم أي بلدية حمام الدباغ ولاية قالمة والذي تعرف بالعامية بحمام المسخوطين، كانت توجد قديما مملكة أو سلطنة وكان سلطانها شابا في مقتبل العمر وكان في رحلة بحث عن زوجة تليق بمقامه وتصلح أن تكون ملكة على البلاد. وكعادة السلاطين لم تعجبه أي امرأة ممن عرضن عليه من بنات الوزراء والوجهاء وأمراء وملوك الممالك الأخرى، فأصبح الأمر

مقلقا لكل من في المملكة من الحاشية أو الرعية خصوصا أن السلطان أصيب بحالة اكتئاب وحزن شديد .

و ذات مرة كان السلطان في رحلة صيد يروح عن نفسه مع كبير وزرائه ووفد من حاشيته عثر في الحقول على شعرة طويلة جدا شديدة السواد . و حينما رآها ولمسها أثارت إعجابه وتساءل عن صاحبته من تكون ؟ وكيف هي؟ ما هو شكلها ؟ هل هي جميلة بقدر ما توحى به شعرتها ؟ هل هي من المملكة أم لا ... أسئلة عديدة دارت في ذهن السلطان جعلته يحتفظ بتلك الشعرة وجعلت صاحبته تسيطر على كل أفكاره، فقطع نزهته فجأة دون أن يعي من رافقه سبب هذا التغيير الطارئ على الرحلة. ولم يتمكن في ذلك اليوم من الابتعاد عن هذه الفكرة مما جعله شارد الذهن فاتر العزيمة طيلة اليوم، وفي آخر النهار لم يتمكن من الخلود للنوم، وقبل الفجر بقليل قرر أن يفضي لكبير وزرائه بانشغاله بصاحبة هذه الشعرة فأرسل في طلبه على الفور .

دهش كبير الوزراء حينما وجد السلطان يخبره قائلاً: " أريد أن أتزوج صاحبة هذه الشعرة، مهما كلفني ذلك "، واستطرد قائلاً " إفعل أي شيء لكي تجدها لي "، فرح كبير الوزراء فرحا شديدا لاستقرار الملك على اختيار زوجة المستقبل ومملكة العرش ولكنه احتار كيف سيعرف من هي، وأين أهلها وأين سيجدها. وبعد تفكير عميق وتقليب الأمر على جميع وجوهه قرر عقد اجتماع الوزراء والأعيان لتباحث الأمر، وبعد المشاورات استقروا على طلب الاستشارة من حكيم المملكة " الدبار" كما كان يسمى قديما ، وهو رجل تقصده العامة والخاصة عند اشتداد الأمور ، وصعوبة اتخاذ القرارات فيرشدهم لما فيه خيرهم وصلاح معادهم ، وكانت إرشاداته وتوجيهاته دائما غريبة وغير متوقعة وتعمل في صالح قاصديه .

فطلب منهم الدبار أن يمهلوه ثلاثة أيام بليالهن، ليبحث في الأمر ويصل إلى الحل، وبعد انتهاء المدة أشار عليهم بأن يبعثوا بالعجوز المسنة العارفة صاحبة المكائد المحكمة الملقبة بـ: "عزوزة الستوت" لتدخل كل بيوت المملكة بيتا بيتا دون استثناء حتى بيوت الحاشية لتقيس الشعرة على شعر كل بنات المملكة سرا حتى تجد الفتاة المطلوبة.

وفعلا قامت "عزوزة الستوت" بما طلب منها لمدة أيام طويلة ولكنها لم تجد الفتاة المطلوبة، وكانت كل يوم تعود مساءً إلى قصر السلطان لتخبر كبير الوزراء بما حصل في ذلك اليوم مما جعل اليأس يتسرب إلى نفس السلطان.

و ذات مرة التقت بفتاة جميلة في حديقة القصر فتحايلت عليها بخبث ودهاء وحنكتها المعروفة على عزوزة الستوت لترى شعرها. ففوجئت بأن طول الشعرة ولونها وملمسها مطابقا للون وطول وملمس شعر هذه الفتاة ساعتها، أدركت وتأكدت أنها قد وجدت الفتاة التي تبحث عنها منذ أيام، ففرحت فرحا شديدا وأسرعت لتخبر كبير الوزراء الذي لم يتمالك نفسه من الفرح فأسرع في الحين بدوره ليرى الفتاة ويعرف من هي. ولكنه أصيب بالذهول وشعر بالخذلان حين عرف أن الفتاة المعنية بالأمر ليست إلا أخت السلطان وبالتالي فإن أمر زواجه منها مستحيل، فأصابه من ذلك غم كبير وحزن حزنا شديدا، ولم يعرف كيف سيخبر السلطان بهذا الخبر التعيس، غير أنه بعد ترده الطويل، لم يجد بد من إخبار السلطان بحقيقة الأمر.

حين علم السلطان بالأمر أصابته رجة شديدة، لم يتمالك فيها نفسه من هول الصاعقة التي سمعها والخبر الذي وصله للتو، فأغشى عليه ساعتها، ولم يفق إلا بعد أن استدعوا طبيبه الخاص، وبقي على هذه الحال يعاني الألم والحزن وتعتريه الكآبة جعلته يلزم الفراش طيلة أربعين يوما.

وفجر اليوم الواحد والأربعين استدعى كبير وزرائه ليخبره أنه لم يغير رأيه وأنه مصر على الزواج من صاحبة تلك الشعرة حتى لو كانت أخته.

ورغم تفاجئ الجميع بقرار السلطان الذي كان منافيا لجميع الأعراف والشرائع السائدة إلا أنه لم يجراً أحد من الخاصة من الحاشية و الوزراء والأعيان، ناهيك عن عامة الشعب من المملكة أن يعارض إرادة السلطان الذي أمر حالا لإقامة الأفراح والليالي الملاح استعدادا لعرس السلطان الذي سيدوم سبع أيام بلياليهن.

وتم التحضير والإعداد على أشده في كامل أرجاء المملكة ووصلت مواكب الملوك والسلاطين والأشراف والأعيان والوزراء من كل الممالك المجاورة للاحتفال.

و في ليلة العرس وبينما الجميع منغمسون في مأدبة العشاء فرحين مرحين يستمتعون بالطرب والعزف والغناء والرقص، حلت عليهم الواقعة ولحقهم غضب الله ولعنته فسخطهم ومسخهم حجارة تتبع منها مياه ساخنة لدرجة الغليان.

وهناك صخرة كبيرة شاهد على وقوع الأسطورة، وتغذيها في أذهان سكان المنطقة تقع على مرتفع قرب الحمامات ببلدية حمام الدباغ ولاية قالمة يصر العارفين بالأسطورة على أنها مسخ للسلطان وعروسه المحرمة عليه (أخته) وأمامها مائدة عليها مثرّد كسكسي. لذلك سمي الحمام بحمام المسخوطين.

**تحليل نص الأسطورة:**

تتمحور القصة حول طريقة إدراك وتفسير المجتمع الجزائري للكوارث بشكل عام والكارثة الطبيعية بشكل خاص حيث تختصر في فكرة واحدة وهي أن الكارثة الطبيعية هي غضب وعقاب من الله يقع على الناس الذين يرتكبون المعاصي والكبائر وهذا بهدف الانتقام.

وهذا ما يمكن إبرازه من خلال النقاط التالية:

- أن المعصية كانت كبيرة من الكبائر التي تحرمها كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والتي تتجسد في جريمة الزنا وبالضبط زنا المحارم.
- أنه لا يشفع لأحد إذا ارتكب الخطيئة حتى لو كان السلطان نفسه. وبالتالي المكانة الاجتماعية والسياسية لا تغير شيئاً في وقوع اللعنة والغضب الإلهي على مرتكب المعصية والجرم.
- أنه لا يبرر الخطيئة أي شيء حتى لو كان الخوف من السلطان. وذلك من خلال وقوع العقاب على الجميع دون استثناء. وأنه لا بد من بذل الجهود لمنع المعصية أو الجريمة، وأن الساكت عن الحق لا يعذر بخوفه.
- أن عقاب الله كان من خلال ظاهرة طبيعية خارقة للعادة لا يمكن للإنسان أن يتفادها. وبالتالي فإن الكوارث الطبيعية تحقق إرادة الله في الكون، عن طريق عقاب العصاة المعتدين على شرائع الله وقوانينه. وأنها تفوق قدرة الإنسان على التحكم فيها أو التنبؤ بها.
- عنصر التوقيت المناسب للعقاب الإلهي من خلال شيئين أساسيين:

1 - أن الله أمهلهم ولم يعاقبهم حتى هموا بالمعصية.

2 - عنصر المفاجأة لأن العقاب جاء وهم لاهون عنه و مستغرقون في العشاء

وغير متوقعون له.

ويشير كل هذا إلى علم الله حكيمته وعدله.

## 5-3-2- أسطورة عنابة والبحر:

يحكى قديما أن مدينة عنابة كانت محل نزاع بين وليين صالحين وهما سيدي إبراهيم الموجود مقامه بمسجد سيدي إبراهيم عند المدخل الجنوبي الغربي لمدينة عنابة، وسيدي بومروان الشريف صاحب المقام المتواجد في المدينة القديمة المعرفة باسم "ساحة السلاح" "Place d'armes"، كل منهما يريد بسط نفوذه على المدينة والاستئثار بخيراتها وولاء أهلها. و لكن سيدي إبراهيم لم يكن ابن المدينة بل كان غريبا عليها، أتى من بعيد ليستقر بباب المدينة. وبذلك يعتبر وليًا دخيلا عليها فإن سيدي بومروان الشريف الذي هو أصيل المدينة لم يقبل أن ينافسه هذا الأخير السلطة على مدينة عنابة ومباركة أهلها فتنازعا عليها طويلا.

وفي مرة الشدد الغضب بسيدي ابراهيم فدعا على المدينة بأن تميل نحو البحر لتغرق بقوله "روحي يا عنابة روعي" بمعنى إذهبي دون رجعة إلى البحر. ولولا تدخل سيدي بومروان الشريف في آخر لحظة لينقذها من الغرق الوشيك وحسن حظ مدينة عنابة وأهلها فإن سيدي بومروان الشريف قد استعمل قوته الخارقة وكراماته ليمسك المدينة على حافة البحر .

ساعتها لم يجد سيدي إبراهيم إلا أن يسحب بركاته ودعواته بالخير من سكان مدينة عنابة الأصليين وأن يمنحها للغرباء الوافدين عليها بأن دعا دعاءه المشهور بين أهالي مدينة عنابة بقوله "تخرجي على البراني وما تخرجيش على أمالك"، ومنذ ذلك الوقت أصبح متعارفا عند أهل مدينة عنابة أنهم لن يتمكنوا من النجاح و تحقيق مشاريعهم و الغنى داخل مدينتهم مهما حاولوا، وأن هذا الأمر ميسور و من السهل تحقيقه على غيرهم من الوافدين الغرباء الذين يستقرون بها طلبا للرزق.

### تحليل القصة

تتمحور القصة حول قدرة الأولياء الصالحين استعمال الكوارث الطبيعية للعقاب وذلك من

خلال:

- تقع الكوارث الطبيعية لأسباب فوق المادة *Metaphysique* ولتحقيق إرادة خارقة مثل إرادة الأولياء الصالحين.

- قدرة الأولياء الصالحين على التحكم في الظواهر الطبيعية.

- استعمال الأولياء الصالحين لهذه القدرة في الجزاء و العقاب.

- صفة القهرية *Fatalité* وذلك لسببين:

1 - عدم القدرة على معارضة إرادة الأولياء الصالحين.

2 - العقاب كان سيقع على سكان المدينة دون ذنب.

### 6- الكارثة الطبيعية في الإشاعة

خلال قيامي بالدراسة الاستطلاعية لإعداد هذه المذكرة ذهبت إلى مراكز تجمع الناجين من

الكارثة بولاية بومرداس بعد الزلزال الذي أصاب المنطقة في شهر ماي 2003، فزرت ماتبقى من

مدينة زموري الساحلية، كان ذلك في بداية شهر جويلية أي بعد مرور حوالي شهر ونصف على

الكارثة. وعند مقابلة الناجيين من الزلزال تعجبت من انتشار الإشاعات حول الكارثة بينهم. مما

استدعى التطرق إلى محاولة تحليل محتوى البعض من هذه الشائعات.

### 6-1- تعريف الإشاعة

وتعرف الشائعة عموماً بأنها: "رواية مصطنعة جزئياً أو كلياً عن فرد، أو أفراد، يتم تداولها شفهيّاً أو بأية وسيلة متعارف عليها، دون الرمز لمصدرها، أو ما يدل على صحتها، ومعظم الشائعات مختلفة ذات دوافع نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، وتتعرض أثناء التداول للتحريف، والزيادة، والنقص، وتميل غالباً للزيادة والتضخيم".

وللإشاعة شرطان أساسيان:

• فالشرط الأول يتمثل في أن موضوع الإشاعة ينبغي أن ينطوي على شيء من الأهمية بالنسبة للمتحدث وللمستمع.

• أما الشرط الثاني فيتمثل في أن الوقائع الحقيقية للقصة ينبغي أن تتسم بشيء من الغموض. وهذا الغموض يمكن أن ينشأ عن انعدام الأخبار أو اقتضاها ونقصها أو عن تضارب الروايات أو عدم الثقة بمصادرهما أو عن التوترات الانفعالية التي تنشأ عن رفض الفرد وعدم قدرته على تقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار الصحيحة. والحق أن الإشاعة تشتمل دائماً على خليط أو مزيج مختلف من الأخبار (بما فيها الأخبار التي يمكن أن تشمل جانباً من الحقيقة) ولكن هذا الخليط تطغى عليه في مراحل انتقاله الكثير من الخيال والتضخيم والتغيير، مما يجعل من المستحيل العزل أو التفريق بين الحقيقة وغيرها، أو التحقق على وجه الدقة إن كانت الأقصوصة تحتوي أصلاً على جانب من الحقيقة.

ولأن الإشاعة تعتبر ممارسة أو طريقة ضمن طرق التواصل بين الناس (أغلب الناس) فإنه يتوضح بأن قيمة الإشاعة ومدى سريانها يرتبط ارتباطاً مباشراً بالشرطين الأساسيين للإشاعة وهما الأهمية والغموض، فكلما كان موضوع الإشاعة مهماً ومثيراً داخل المجتمع وعنصر الغموض قوي في تكوينها كلما كبرت قيمتها وزاد انتشارها و سرع سريانها.



وفي حالة كارثة بومرداس فإن هذين الشرطين متوفرين بشدة، إذ أن وقوع الكارثة له أهمية قصوى عند الجميع ووقائع حدوثها يكتنفها الكثير من الغموض فتصبح مجالا خصبا لاختلاق وانتشار الكثير من الشائعات.

### 6-2-دوافع الإشاعة

إذا كان الغموض شرط أساس في وجود وسريان الكارثة فإن الحاجة إلى الفهم أو إكمال الصورة الناقصة والإجابة على التساؤلات التي تطرح نفسها وتتسبب في قلق الانزعاج (الذي تحدث عنها إيليس في العلاج العقلاني الانفعالي ) الذي ينتج عن جهل تفاصيل الوقائع ، لتجنب هذا القلق يتكون الدافع الأساسي لدى الأفراد لخلق الإشاعات وتسريبها والعمل على انتشارها.

### 6-3-الإشاعات والتصورات الاجتماعية

إن الإشاعات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتصورات الاجتماعية، إذ توجد علاقة جدلية بينهما فالإشاعة كطريقة تواصل وسلوك تؤثر على التصورات الاجتماعية عن طريق ترسيخها وتأكيدتها أو محاولة تغيير بعض أوجهها(حرب الإشاعات)، بينما الإشاعة ذاتها هي نتاج التصورات الاجتماعية بدليل أنها تختلف من مجتمع إلى آخر في محتواها أو طرق انتشارها، بل تختلف داخل نفس المجتمع بين مختلف الجماعات الاجتماعية

وتبرز هذه العلاقة من خلال هذين المفهومين أساسين خاصة:

• محتوى الشائعة نفسه أي الخبر، كيف يتكون؟ وما هو المضمون الضمني والصريح للشائعة؟ ما هي طرق وصول الخبر المشاع؟...

• مفهوم الصدق والكذب في الشائعات: ما لذي يجعل من شائعة ما قابلة للتصديق على المستوى الفردي كما الجماعي؟ ومن يمكن أن نصدق؟ ومن يمكن أن نكذب؟ وما لذي يجعلنا نتردد في مصداقية بعض الأخبار ولو جاءت من مؤسسات رسمية؟...

إن الشائعات من الظواهر القابلة للتضخم والانتشار بسرعة كبيرة وذلك لأن من خصائصها العدوى الاجتماعية مما يكون عنصر تشابه بينها و بين الأوبئة والأمراض المعدية في كيفية الانتشار فإما أن يكون ذلك عن طريق عامل فيروسي ينتشر بسرعة أو عن طريق incubation لفترة طويلة تأتي بعده مرحلة الاكتساح.

#### 6-4- الإشاعة والكارثة الطبيعية:

إن الإشاعات تتكون حول محاور أساسية وهي:

- السلطة
- المال
- الجنس
- الموت

وكل هذه المجالات تشترك في كونها ذات أهمية في حيلة الأفراد والمجتمعات وأنها غير قابلة للتحكم مما يخلق حالة من الخوف والقلق نحاول على المستوى الفردي كما الجماعي أن نسيطر عليها

عن طريق الهوامات والإبداع الخيالي، فإن لم يكن الفرد هو الصانع للإشاعة فهو يتلقاها بتلهف ربما زاد في محتواها عند نقلها. في حالة الكارثة الطبيعية يتوفر:

- عنصر الفوضى الاجتماعية مع الفوضى المادية مما يسمح لكل واحد أن يعيش هوامته وينسج من خياله ما يحميه من القلق
- القابلية لتضخيم الأخبار
- رفض تصديق الأخبار الرسمية
- وجود الموت كنواة مركزية في حالة الكوارث الطبيعية.

وهكذا فإن الإشاعة بالرغم من كونها صورة من أكبر صور النشاط الاجتماعي بعدا عن الموضوعية والحقيقة والقيود المنطقية للحكم والنقد، إلا أنها من الظواهر الأكثر انتشارا في كل المجتمعات والتي تعتبر من أهم القواسم المشتركة بين مختلف الثقافات الانسانية، وإن كانت قد اختلفت في وسائل تناقلها بين أفراد المجتمع الواحد من تناقلها بين شخصين عن طريق الحديث المباشر إلى غاية وصولها إلى مرحلة الانتقال إلى الجماعات الكبيرة عبر وسائل الإعلام المختلفة كالتلفزيون، الجرائد وأخيرا الانترنت. كما تعتبر من أشد الأسلحة فتكا في الحروب النفسية في جميع المجالات بدءا من المجالات التنافسية بين الأشخاص والجماعات إلى العسكرية والدولية.

#### 6-5- نماذج من الإشاعات الجزائرية حول الكوارث:

هذه بعض النماذج من الإشاعات التي انتشرت بين أوساط الأفراد الناجين من كارثة بومرداس والتي تناقلوها بينهم بشكل ملفت للنظر، وهذا من عدة وجوه، من بينها اتفاقهم على محتواها وأهميتها

وهدفها والحكمة أو العبرة منها... ، إلا أنهم يختلفون في تفاصيل وقائعها مثل مكان وقوعها، وهوية أبطالها وتوقيتها- والتي تمثل مكن الغموض المشكل لروح الإشاعة - . إلا أن الملفت للانتباه أن جميع من يرون هذه الإشاعات يدعون باستمرار أنهم على معرفة أكيدة بكل هذه التفاصيل وحتى الصلة غير المباشرة بأبطالها مثل أن يقول أحدهم أن البطل هو قريب لجارة خالته مثلا...

### 6-5-1- الهارب من الزلزال:

الرواية تتلخص في أن شخص (في كل رواية يؤكد لك الراوي معرفته الأكيدة ولكن غير المباشرة لهذا الشخص) ممن نجوا من الزلزال قرر الفرار من المنطقة، فأخذ أفراد عائلته وما استطاع أن يحمله من ممتلكاته الخفيفة واتجه بعيدا نحو مدينة داخلية (في كل رواية تذكر مدينة معينة) وانطلق في سيارته بسرعة جنونية خوفا من عودة الزلزال ثانية. وحينما ابتعد عن منطقة الخطر وأحس هو ومن معه بالأمان وقع له حادث بسيارته (قد يذكر لك تفاصيل الحادث أو لا تذكر حسب الراوي) فمات هو وكل من معه في السيارة.

### تحليل الإشاعة:

تتمحور الإشاعة حول قهرية أو قسرية الكارثة، وذلك من خلال:

- تقديم فعل الفرار على أنه فعل سيء أو سلبي.
- عدم جدوى الهروب من مكان الكارثة مهما كانت الوسائل.
- قد يكون إحتمال النجاة من الموت أقوى مع البقاء والتسليم.
- قد تكون النجاة من الكارثة جزاء أو مكافأة على التسليم بها.

## 6-5-2- سر الطابق الأول:

أما الإشاعة الثانية فهي أغرب من الأولى، محتواها أن رجلا (يؤكد لك صاحب الرواية معرفته الأكيدة ولكن الغير مباشرة لهذا الرجل) كان يملك عمارة كبيرة (كما يسمي لك مكان توأجدها دون تحديد دقيق) بعدة طوابق، ولما جاء الزلزال هدمت كل الطوابق ولم يسلم منها سوى الطابق الأول. وأمام تعجب وإثارة المستمع ودهشته وقبل أن يسأل عن سبب ذلك، يخبرك الراوي ويؤكد لك أن الرجل المذكور كان قد بنى الطابق الأول من مدا خيل حلال (قد يذكر لك مصدرها كأن يذكر لك عمله سابقا مثلا) بينما أكمل عمارته من مداخيل حرام (قد يذكر لك مصدرها كأن يذكر لك عمله حاليا مثلا).

## تحليل الإشاعة:

محور هذه الإشاعة أن الكارثة الطبيعية هي عقاب إلهي عادل وذلك من خلال:

- وقوع معصية ومخالفة للأوامر الإلهية من طرف بطل الرواية.
- استحقاق العقاب الذي جاء على شكل زلزال.
- العدل الإلهي المتمثل في انهيار الجزء الحرام دون الحلال.

## التحليل العام

من تحليل بعض مصادر الثقافة الجزائرية التي تناولت الكوارث الطبيعية مثل بعض آيات

القرآن الكريم و القصة الشعبية أو الأسطورة التي محورها الظواهر الطبيعية الخارقة للعادة ومنها

الكوارث الطبيعية وبعض الإشاعات التي انتشرت بعد كارثة زلزال منطقة بومرداس في ماي 2003،

يتضح لنا أن للكارثة الطبيعية خصائص أساسية في الثقافة الشعبية الجزائرية:

- مصدر الكوارث متعلق بقوة ميتافيزيقية قد تكون إلهية مباشرة أو غير مباشرة عن طريق كرامات تعطى لأشخاص معينين.
- أن الكارثة هي عقاب يكون بسبب غضب القوة التي هي مصدر الكارثة ويكون متعلقا غالبا بمعصية أو خطيئة ارتكبتها ضحايا الكارثة الطبيعية أو لم يحولوا وقوعها. وقد يكون الغضب غير متعلق بهم.
- القهرية Fatalité أي أن الكارثة قدر لا بد منه بدليل عدم جدوى أي محاولة لتفاديه.
- العدل المطلق لهذا العقاب أي أن وقوع الكارثة هو تحقيق لعدل ما.

تتزايد كل يوم من حولنا الأحداث الفاجعة والمؤلمة التي يتعرض لها الأشخاص (G.villa ص03) سواء كان ذلك على مستواهم الخاص كأفراد (الاعتداءات الجسدية والجنسية خصوصا على الأطفال وحالات الاختطاف...) أو على مستوى الجماعات (الحوادث الكبرى واختطاف الطائرات والتفجيرات الإرهابية...) أو على مستوى المجتمع ككل (الكوارث بكل أنواعها والحروب...)، مما يخلف دمارا وخرابا ماديا وإصابات جسدية قد تكون خطيرة جدا وآثار نفسية شديدة ابتداء بالضغط النفسي Sterss وانتهاء بالصدمة النفسية التي قد تصيب بعض الأشخاص فتحول حياتهم تماما.

## 1 - نشأة وتطور مفهوم الصدمة النفسية

### 1-1-البيدايات الأولى

وجد في بعض نصوص التي كتبت في مرحلة قبل التاريخ، وصف لأعراض مثل التي عرفت فيما بعد بإسم "العصاب الصدمي" ومن أشهرها تلك التي رواها هيرودوت Hérodote و التي تدور حول قصة محارب يوناني يدعى أبيزولوس Epizelos ابن كانفاقوراس Camphagoraos أثناء معركة ماراثون Marathon سنة 490 ق م، والذي عاني طيلة حياته من فقد البصر بعد مشاهدته لحادث صادم والمتمثل في قتل أحد المحاربين لخصمه أمام عينيه، مما يذكرنا بحالة " العمى الهستيرى " (A.Bouslimane in Pratique des soins et psychotrauma ص 29).

وفي بعض نصوص لوكريك Lucrèce في كتابه حول العلوم De natura rerum (100-55 ق.م) تطرق إلى حالات من الأحلام المرعبة تشبه الأحلام بعد الصدمة، وكانت هذه الأحلام محورها المعارك ومواجهة الموت (G.Villa et all ص 12-13).

وفي نفس السياق جاءت محاولة "Pline le jeune" الشهيرة حول دمار بومبي سنة 79 قبل المسيح والتي قام فيها بجمع روايات ومحاولات المؤرخين حول الكارثة وشهادات شهود العيان الناجيين من الكارثة كما نقلها الرواة.

أما في العصور الوسطى فإننا نجد في أناشيد رولان Rolland سنة 1100 م أوصاف عديدة للجراح المؤلمة التي تتركها الأسلحة و آثارها على النفس وأيضا أحلام شارلمان Charlemagne الذي كان يرى فيها جيوشه تهزم وتباد على أيدي أمام الغيلان Monstres في بعض المعارك. كما أن ملك فرنسا شارل التاسع Charles IX اعترف لطبيبه الخاص بعد أيام من تدمير Saint-Barthélemy في شهر أوت سنة 1572 بأنه يرى أحلاما مفرعة صدمية، وأعراض جسمية ناتجة عن القلق والرعب.

كما أن فيليب بينال philippe pinel تحدث عن صدمة نفسية تعرض لها الفيلسوف بسكال سنة 1630 حين كاد أن يقع في نهر la Seine بعربته وبقي بمدة 8 سنوات يعاني من حالة إعادة معايشة للحادث. Reviviscence.

### 1-2- مرحلة الملاحظات الطبية

ويعتبر ابن سينا (محمد النابلسي 1991) أول من درس الصدمة النفسية وأثارها الجسدية والنفسية في تاريخ الطب بطريقة علمية تجريبية وبدراسة مقارنة ومعقدة، فقد قام بربط حمل وذئب في غرفة واحدة دون أن يستطيع الذئب الوصول إلى الحمل ورغم أنه كان يقدم نفس الكميات من الغذاء للحمل إلا أنه لا حظ هزال الحمل وضموره ومن ثمة موته، وبهذه التجربة يكون ابن سينا قد درس الصدمة وتأثيرها الذي يمكن أن يؤدي إلى الموت خوفاً.



ثم بدأت الملاحظات الأولى للاضطرابات النفسية المرتبطة بالصددمات الناتجة عن الحروب النزاعات في القرن XVII. ففي الأبحاث الطبية الفلسفية لبينال philippe pinel توجد عدة أوصاف لإشارات كثيرة وأعراض مختلفة، منها حالة ضابط متقاعد الذي يعاني من أعراض: الإستيقاظ المفزع، الأحلام المرعبة، التشنجات العضلية في الأطراف بعد حوالي 50 سنة من الحياة العسكرية العملية النشيطة (A.Bouslimane ص 30).

ثم جاءت مذكرات وتقارير أطباء وجراحي جيوش نابليون لتحمل أمثلة كثيرة حول حالات مماثلة، نذكر منها: مذكرات الجراحة العسكرية Les mémoires de chirurgie militaires. كما تعتبر الحوادث الكبرى للقطارات (كوارث السكك الحديدية) مع نهاية القرن التاسع عشر محطة هامة في دراسة ردود الأفعال ومخلفات الصدمات الانفعالية الناتجة عن الوضعية الأزمات situation crise مما سمح بظهور مصطلح عصاب الصدمة من طرف Oppenheim سنة 1888 و الذي كان محل أخذ ورد ونقاش طويل من طرف الكثير من العلماء مثل ج. شاركو وب.جانبيه و س. فرويد (Louis Crocq ص 395).

### 1-3- مرحلة القرن 20

تميز هذا القرن بالحروب والنزاعات الأكثر دموية إذ شهد في نصفه الأول حربين عالميتين مدمرتين و التي استعملت فيها الأسلحة الثقيلة الأكثر فتكا وتدميرا في تاريخ البشرية، وهذا أدى إلى تعميق البحث الإكلينيكي حول العصاب الصدمي وذلك في مجال الطب العقلي العسكري فظهرت تسمية عصاب الحرب من طرف هونيقمان Honigmann 1907 والتي أطلقها على الأعراض

العصابية (هيسستيريا و الوهن العصابي وتوهم المرض) والتي تم ملاحظتها على الضباط الروس خلال الحرب اليابانية الروسية في سنة 1904.

وضمن المحاولات العلاجية التي صاحبت الحرب العامية الأولى والتي وإن نجحت في التخفيف من الأعراض لم تمكن المصابين من الرجوع إلى ميدان الحرب، جاءت المقاربة العلاجية التحليلية حول اضطرابات عصاب الحرب على يد بعض المحللين النفسيين ومنهم فرويد الذين تدخلوا لعلاج مرضى عيادة تافيستوك Tavistock بلندن ( G.Villa et all ص 14).

عرفت الحرب العالمية الثانية في 26 أبريل سنة 1943 ظهور أول منشور يأمر بوضع الجنود المصابين بالصدمة النفسية تحت المراقبة وكان يصفهم آنذاك بالمصابين النفسيين Blessés psychiques (A.Bouslimane ص 30) ، كما سمحت ب بروز ملاحظات أكثر دقة مثل الاستعداد المسبق للمرض و مرحلة الكمون التي تسبق ظهور المرض وهو ما أطلق عليه في إنجلترا "الاستجابات الحربية المتأخرة" مثل دراسة شارل ريشي Charles Richet 1946 و أوجين منكوفسكي Eugène Minkowski 1947 و تارقولا Targowla 1950.

ويذكر محمد أحمد النابلسي أنه هذه الخيرة تزامنت مع دراسات مقارنة مثل التي قام بها دافيس Davis 1945 بين استجابات الجنود في الحربين العالميتين الأولى والثانية ظهر أن الاستجابات الهستيرية الشائعة في الحرب العالمية الأولى قد تلاشت لتعوضها الاستجابات النفس-جسدية خلال الحرب العالمية الثانية(النابلسي ص 35-36). في نفس المرجع دراسة ثانية لسوسيمي وباردينا ومانسو Sossimi, Bardenat et Mançeau 1949 أظهرت اختلاف الاستجابات الجنود خلال نفس الحرب حسب أصولهم العرقية وانتمائهم ( إنجليز وهنود وجزائريين). ثم جاءت بحوث وملاحظات العلماء المعاصرين مثل لوي كروك وفورني A.Fournier اللذين قدما تفصيلا لما سميها

"Nevrose de guerilla" نتيجة ما لاحظه على الجنود الفرنسيين ، لم تعد الدراسات والبحوث تخص استجابات الحروب فحسب بل شملت كل الأحداث المسببة للصدمة النفسية مثل الحوادث بأنواعها والكوارث والاعتداءات الجنسية ...

وإذا تحدثنا عن الصدمة النفسية الناتجة عن الكارثة الطبيعية والخاصة بالزلازل فيظهر أن من بين النماذج التي حظيت باهتمام الباحثين الزلزال الذي ضرب أرمينيا 1988 وقد ضمت العينة عددا من التلامذة المراهقين الذي عاينوا الزلزال، وتبين لهم أن الناجين قد أصيبوا باضطراب ما بعد الصدمة والاكتئاب الشديد. وتبين أيضا أن الأفراد الذين تلقوا جلسات في العلاج النفسي قد تخلصوا من آثار الصدمة بما في ذلك الاكتئاب والأفكار الدخيلة والتجنب، بينما استمرت العوارض وتفاقت عند الذين لم يخضعوا للعلاج النفسي .

في حين قام باحثون بدراسة نتائج الزلزال القوي الذي وقع في مقاطعة yunnan الصينية عام 1988 والذي أدى إلى قتل وتشريد العديد من السكان وقد قام الباحثون Mcfarlane and Hua 1993 بدراسة نتائج الزلزال على عينة من الناجين وقد استخدموا بعض الاختبارات النفسية وتوصلا إلى :

أ - ارتفاع نسبة الخوف والقلق والصداع واضطراب ما بعد الصدمة.

ب - محاولات الانتحار الجماعي بعد حدوث الانقلاب المفاجئ في الظروف المعيشية

وعدد من الناجين يعتقد بأن التتين الضخم الغاضب هو السبب في حدوث الزلزال.

ج - ارتفاع نسبة الاكتئاب والحالات الذهانية والاضطرابات النفسية الأخرى، وتبين أن

عدد الأشخاص الذين دخلوا المستشفى بسبب الحالة النفسية قد ارتفع. ويعود السبب إلى أن قسما كبيرا

منهم كان يعاني أساسا من حالات نفسية ، غير أن الزلزال قد أدى إلى تفاقم الخوف والاضطراب .

ثم جاء تصنيف الجمعية الأمريكية للطب العقلي ليسجل محطة مهمة في تطور مفهوم الصدمة النفسية حيث أطلق عليه اسم اضطراب ما بعد الصدمة Post Traumatic Stress Disorder P.T.S.D والذي سنتطرق له بالتفصيل لاحقا، وقد تم تعديله ثلاث مرات سنة 1980 و 1987 و 1994 ( A.Bouslimane ص 32) وهو عبارة على تعداد للأعراض دون التطرق للمفاهيم النظرية الخفية. و يبقى مفهوم الصدمة النفسية في تطور مستمر مع ما يشهده العلو اليوم من أحداث عنف وإرهاب مثل أحداث العشرية السوداء في الجزائر والتي أسفرت عن عدة دراسات حول أعراض الاضطراب أو الطرق العلاجية له وقد كانت من بين الدراسات التي قامت تحت إشراف هيئات دولية مثل اليونيسيف. و إن كانت الدراسات قد تشمل بعض الضحايا الموجودين في مناطق معينة من العالم دوناً عن مناطق أخرى مثلاً وفترة البحوث التي أجريت على الإسرائيليين وقتلتها وندرتها مع الفلسطينيين (النايلسي ص36)

## 2 - تعريف الصدمة النفسية:

لا يمكن الحديث عن اضطراب الصدمة النفسية دون الحديث عن الصدمة نفسها أي الحدث الصادم أو الصدمي Evénement traumatique الذي يكون سببا في ظهور المرض النفسي. إذ أن مرض الصدمة النفسية له بداية معينة أو نقطة انطلاق واضحة هي السبب المباشر في ظهور الأعراض بدون هذا الحدث أو الحادث لن يكون هناك مجالاً للحديث عن الصدمة النفسية وعن أعراض أو مشكلات بعد صدمية ولكن هل يمكن لأي حدث مسبب للألم أو خارق للعادة أو مغاير لما يتوقعه الإنسان أن يوصف بالحدث الصدمي؟ أو أن هناك خصائصاً معينة هي التي من خلالها يمكن تحديد الحدث الصدمي من غيره؟

لذا يتوجب تحديد بعض الخصائص التي تجعل من أي حدث حدثاً صدمياً.

## 2-1- تعريف الحدث الصدمي

الحدث أو الحادث لغوياً من حدث يحدث حادثاً أي طرأ أو وقع. وهو باللغة الفرنسية: Evénement من اللفظ اللاتيني Evenir والذي يعني ما يحدث أو يطرأ أو يقع و يظهر جيداً ( Le Petit Larousse ص 190 )

و هذا الحدث يمكن أن يكون ساراً مفرحاً أو محزناً، مؤلماً أو مصحوباً بلذّة، عادياً أو استثنائياً، متوقفاً أو مفاجئاً، فردياً أو جماعياً.... من السهولة أن نستخلص أن الحدث المتسبب في الصدمة النفسية هو حدث مفاجئ غير متوقع يتعدى حدود المألوف والمعتاد وعلى درجة كبيرة من الخطورة... ولكن هل هذه المواصفات تكفي لكي يتحول كل حدث إلى حدث الصادم traumatissant أو صدمي Traumatique بمعنى أنه يخلف أعراض نفسية مرضية بعد صدمية عند كل من يتعرض له؟

ومن تعريف الحدث الصدمي: " هو حدث خارج عن المألوف، يتعدى مجال الخبرات العادية (الحداد، المرض...) تتم معاشته بهلع -بخوف كبير- وهو يمثل مواجهة أو لقاء مع الموت" (H.Souki ص34) يمكننا استخلاص خصائص الحدث الصدمي:

1. حدث خارج عن المألوف، غير اعتيادي وغير متوقع.
2. معاش من الهلع Un vécu de terreur يؤثر على ادراكات وأحاسيس الشخص.
3. لقاء أو مواجهة مع الموت والتي تتعدى مجرد الإحساس بالتهديد بالموت إلى رؤية و معاشة سيرورة الموت - يسيطر على الفرد إحساس انه يسير وحيداً نحو المجهول -

والخاصية الثالثة تفسر ما نلاحظه في الواقع من اختلاف وتباين ردود أفعال واستجابات مختلفة بين الأفراد عقب نفس الحدث- في حين أن بعض الأفراد رغم الضغط النفسي الشديد الذي يتعرضون له خلال الحدث المهدد يستطيعون تجاوزه والعودة إلى حالة الاستقرار النفسي تتحول حياة أفراد آخرين تماما حيث يدخلون في معاش بعد صدمي يؤثر على كل حياتهم- ليس بسبب الحدث ومدى خطورته وإنما بسبب الطريقة التي يعاش بها.

وبالتالي نخلص إلى أن الصدمة Trauma زيادة عن عنصر المفاجأة وعدم التوقع للحدث والهلع الشديد الذي يصاحبه تتكون عندما يجد الفرد نفسه في مواجهة -معايشة- الموت أي لقاء حقيقي مع الموت سواء كان موته هو أو موت الشبيهه Alter ego.

## 2-2 تعريف الصدمة النفسية

تتعدد التعاريف الخاصة بالصدمة النفسية، بتعدد العلماء والاتجاهات النظرية وقد أوردنا في فصل الصدمة النفسية أهم التعاريف التي تناولت بالتوضيح والشرح مصطلح "الصدمة النفسية" فالصدمة لغويا أو الصدمي "Trauma" هي تعابير مستعملة قديما في الطب والجراحة، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية "traumatosis" ومن مرادفاتها بالفرنسية traumatisme المخصصة على الأذن للحديث عن الآثار التي يتركها جرح ناتج عن عنف خارجي (Mostapha Khiati ص 85).

أما معجم مصطلحات التحليل النفسي فيعرف الصدمة هي حدث في حياة الشخص يتحدد بشدته وبالعجز الذي يجد الشخص فيه نفسه عن الاستجابة بما يثيره في التنظيم النفسي من اضطراب و آثار مولدة للمرض. (لابلانث و بونتاليس ص300).

ولقد اقتبس التحليل النفسي هذين المصطلحين مع أننا لا نصادف عند فرويد سوى كلمة صدمة trauma ناقلا إلى الصعيد النفسي المعاني الثلاثة التي يتضمنانها أي معنى الصدمة العنيفة ومعنى الكسر أو الإصابة ومعنى الآثار على مجمل المتعضي (لابلانث وبونتاليس ص 301).

أما سيلامي sillamy فهو يعرف الصدمة على أنها حادث عنيف قابل لشن اضطرابات جسدية ونفسية تؤثر على بنية الشخصية. وإن لم تكن هذه الآثار يمكن اعتبارها أزمة عابرة، وحسب رأيه فإن الصدمة تكون دائما متبوعة بمجموعة من الاضطرابات النفسية والجسدية التي تكون غالبا مستمرة . أي ما يعرف بتناذر ما بعد الصدمة syndrome post traumatique أهمها:

1. عدم الاستقرار .

2. الضعف .

3. العياء النفسي .

4. فقدان الذاكرة .

5. النكوص إلى مرحلة طفولية .

6. الهروب إلى الإدمان وتعاطي المخدرات والكحول .

7. توهم المرض .

كما يعرفها سيلامي sillamy أيضا باعتبارها تنشأ نتيجة ظهور حدث مفاجئ وغير متوقع في حياة الفرد والذي يغير وجوده بصفة كبيرة ومهمة. وبسببه يصل الفرد إلى عدم التكيف ويتعلق الأمر في أغلب الأحيان بإحباط أو فقدان شخص عزيز (sillamy 1996).

ويأتي تعريف بايلي Bailly مميزا حيث يقول: "إن الصدمة النفسية ليست استجابة أو رد فعل النفس لوضعية خاصة، وإنما هي عدم استجابتها وتجمدها "Blocage" (Mostapha Khiati ص 06).

أما بيرون Perron فهو يعتبر الصدمة انفعالا عنيفا متغيرا بطريقة مستمرة وشخصية الفرد المصدوم تصبح حساسة لانفعالات مماثلة للصدمة الأولى. كما يرى أن للصدمة مفهومين:

المفهوم الأول: الصدمة هي مجموعة من الاضطرابات المحدثة بسبب إصابات في العضوية خاصة في المنطقة الدماغية الجمجمية مع جروح، هذه الاضطرابات قد تكون عابرة ومؤقتة وقد تكون مستمرة أي ما يعرف بتناذر ما بعد الصدمة.

المفهوم الثاني : الصدمة هي حالة من العضوية تختص بفعل إثاري حيث يكون التفريغ مستحيلا والعضوية لا تستطيع تعديل هذه الإثارة ، وهذا حسب النظرة التحليلية للصدمة (محمد النابلسي 1991) .

أما فرويد فيعرف الصدمة على أنها تجربة معاشة تحمل معها للحياة النفسية وخلال وقت قصير نسبيا زيادة كبيرة في الإثارة لدرجة أن تصفيتها بوسائل التسوية المألوفة تنتهي بالفشل، مما يجعل هناك اضطرابات دائمة في قيام الطاقة الحيوية ووظيفتها (لابلانوش وبونتاليس 1985).

وبصفة عامة يعرف علماء التحليل النفسي الصدمة النفسية بأنها حالة تتميز بالإفراط في الاستثارة والانفعال إلى حد يمتنع فيه تصريف الطاقة فيبحث هذا الفرد في التوافق مع الموقف أن يبعد نفسه عن أي استثارة إضافية مستعينا في ذلك بدفاعات لا سوية (فرج عبد القادر 1975).

ويعرفها L-Croq كروك بأن الصدمة النفسية هي ظاهرة ذهول تجتاح الجهاز النفسي، بسبب تدفق أثار عنيفة وعدوانية تتجاوز قدرات دفاع الفرد، وتؤدي إلى إخلال أساسي يمس نمطه الوظيفي (Mostapha Khiati ص 72) .

بعد كل هذه التعاريف يمكننا القول بأن الصدمة النفسية هي اضطراب ينجم عندما يتعرض شخص ما لحدث مؤلم جدا وغير قابل للتصور (صدمة) يتخطى حدود التجربة الإنسانية المألوفة



(أهوال الحروب، رؤية أعمال العنف والقتل، التعرض للتعذيب والاعتداء الجسدي الخطير والاعتصاب، كارثة طبيعية، الاعتداء الخطير على أحد أفراد العائلة...) يجد الشخص فيه نفسه في مواجهة الموت، بحيث يؤدي إلى اختلال التوازن النفسي و الفيزيولوجي للشخص المصدوم ويفرض عليه معاشا يفوق طاقة تحمله تظهر بعده عدة أعراض نفسية وجسدية.

## 2-3- الصدمة النفسية حسب جمعية الطب النفسي الأمريكية

في عام 1980 أدخلت جمعية الطب النفسي الأمريكية عبارة P.T.S.D وهي اختزال ل: Post Traumatic Stress Disorder أي اضطراب ما بعد الصدمة وذلك للدلالة على اضطراب نفسي خاص يتلو حدوث الصدمة. وبعد سبع سنوات عادت جمعية الطب النفسي الأمريكية وأدخلت بعض التعديلات على مفهوم اضطراب ما بعد الصدمة أهمها تعديلان أساسيان لا بد من الإشارة إليهما:

1. التركيز على عملية التجنب الذي يعتبر مؤشرا أساسيا للدلالة على اضطراب ما بعد الصدمة (تجنب الأشياء والأفكار والمشاعر المرتبطة بالحدث وتجنب الوضعيات التي يمكنها أن توظف ذكريات الحدث).

2. و لأول مرة اضطراب ما بعد الصدمة عند الأطفال (استعادة الحدث المؤلم عن طريق اللعب المتكرر المرتبط بالصدمة مع انخفاض الرغبة في الأنشطة والمهارات بما في ذلك الكلام).

ويعتبر تصنيف جمعية الطب النفسي الأمريكية مرجعا لتشخيص اضطراب ما بعد الصدمة حسب الأعراض التالية:

أ - أن يعيش حدثا يتخطى الإطار المألوف للتجربة الإنسانية وأن يكون هذا الحدث مؤلما لدى أي شخص آخر مثل التهديد الشديد أو الخطير على الحياة الشخصية أو الجسد، التهديد الشديد الذي يتناول

أحد الأبناء أو الزوجة أو أحد الإخوة أو أحد أفراد العائلة، التدمير المفاجئ للمنزل، رؤية أحد ينزف أو يُقتل أمام الشخص كنتيجة لحادث أو لاعتداء جسدي.

ب - أن يعيش الشخص الحدث - الصدمة بشكل دائم وعلى الأقل بإحدى الوسائل التالية أو أكثر:

1 - عودة وتدخل الذكريات المؤلمة (صور وأفكار) للحدث (عند الأطفال الصغار، هناك

اللعب المتكرر حيث يعبر الطفل بواسطته عن أشكال الصدمة ومتونها).

2 - الكوابيس المتعلقة بالحدث (الأحلام المخيفة) والتي تكون أحيانا ذات محتوى لا يمكن

التعرف عليه.

3 - الفعل الفجائي أو الشعور بالحدث - الصدمة قد تعود من جديد: شعور الشخص مثلا

بأنه يعيش التجربة بالإضافة إلى الأوهام والهوسات وفترة من التفكك (ومضات) مثل التي تحدث أثناء اليقظة أو حال التسمم.

4 - ضيق نفسي شديد عند التعرض لأحداث ترمز أو تشابه في شكلها الحدث - الصدمة

بما في ذلك الذكرى السنوية للصدمة.

ج - التجنب الدائم للمنبهات المرتبطة بالصدمة أو الخمود (التبليد) في الاستجابة العامة (لم تكن

موجودة قبل الصدمة). وهذا التجنب يظهر في ثلاثة أشكال على الأقل:

1 - بذل الجهود لتجنب الأفكار والمشاعر المرتبطة بالصدمة.

2 - بذل الجهود لتجنب الأنشطة والوضعيات التي توقظ ذكريات الصدمة.

3 - عدم القدرة على تذكر الجزء الهام من الصدمة (لأسباب نفسية).

4 - انخفاض ملحوظ في الاهتمام بأنشطة هامة (مثلا عند الأطفال الصغار نلاحظ فقدان بعض

المهارات المكتسبة حديثا مثل العناية بالنظافة البدنية والمهارات اللغوية).

5 - الشعور بالانفصال والنفور من الآخرين.

6 - الانحسار في المجال العاطفي (عدم القدرة على الشعور بالحب).

7 - الشعور بضيق المستقبل بحيث لا يتوقع الشخص بأن يتزوج وأن ينجب أطفالاً وأن تكون

له حياة طويلة.

د - عوارض دائمة من الاستثارة الزائدة (لم تكن موجودة قبل الصدمة) كما يشير إليها على

الأقل إثنان من العوارض التالية:

1 - الصعوبة في النوم والاستغراق فيه.

2 - الاهتياج وهبات الغضب.

3 - صعوبة التركيز.

4 - الاحتراز الزائد.

5 - المبالغة في استجابة الإجفال startel response

6 - ردة فعل فيزيولوجية إزاء التعرض للأحداث التي ترمز إلى الصدمة أو تشابه شكلاً من

أشكالها (مثل امرأة قد سبق لها وتعرضت للإغتصاب داخل المصعد نراها تصاب بالتعرق

والاضطراب في كل مرة تستعمل فيها المصعد).

هـ - استمرار الاضطراب على الأقل لمدة شهر أو ستة أشهر أو ظهور العوارض بعد ستة

أشهر من بدأ الصدمة (الشكل المتأخر أو المزمن)

## 4 - النظريات المفسرة للصدمة النفسية:

حاولت بعض النظريات أن تعطي تفسيرات متنوعة لتشكيل اضطراب ما بعد الصدمة

ومن أهم هذه النظريات:

## 1-4 - النظرية التحليلية والصدمة النفسية :

يحتل مفهوم الصدمة النفسية مكانة جوهرية في نظرية التحليل النفسي حيث ظهر هذا المصطلح منذ البداية في أعمال فرويد في كتابه "دراسات حول الهستيريا" وقد ميز هذا الأخير بين الصدمة "trauma" التي تشير إلى الأثر الداخلي الناتج عند الشخص بسبب حادث ما، وبين الصدمة النفسية "traumatisme" التي تشير إلى الحادث الخارجي الذي يصيب الشخص ، ولقد تم تناول الصدمة النفسية من منظور التحليل النفسي حسب وجهتين ، يصعب التمييز بينهما نتيجة تداخلهما ، وسنتناولها باختصار كما يلي:

## أ - وجهة النظر الدينامكية :

افتراض "فرويد" في المحور الأول أن الصدمة النفسية، تكون دائما جنسية ونتج عن الإغراء

وأشار إلى أن حدوث الصدمة يقتضي توفر أمرين:

الأول: هو حادث إغواء لكائن غية ناضج ويكون في وضعية سلبية وغير مهياً.

الثاني: هو العامل المفجر أو البعدي l'après-coup الذي تأخذ الصدمة معناها من خلاله، فهو الذي

ينشط الآثار الذكورية (ذاكرة) المتعلقة بحادث الإغواء المبكر الذي عمل الكبت على حجبته ونسيانه

(لابلايش وبونتليس ص 63).

تناول فرويد الصدمة النفسية في هذا الإطار من زاوية الظواهر النفسية التي تصاحبها،

والصراعات التي تستثيرها القوى ذات المنشأ النزوي ونتيجة الاندفاع الذي تشكله. ويرى في

"دراسات حول الهستيريا" أن الصدمة هي جنسية أساسا ويجزئ عمل الصدمة إلى عناصر ويفترض دوما وجود حدثين على الأقل حيث يتعرض الطفل في المشهد الأول الذي يسمى مشهد الغواية إلى إغراء جنسي من قبل الراشد بدون أن يولد هذا الإغراء عنده إثارة جنسية. وبعد البلوغ يأتي المشهد الثاني الذي غالبا ما يكون عديم الأهمية ظاهريا، يوقظ المشهد الأول من خلال إحدى السمات المترابطة بينهما وبذلك يطلق فيض من الاستثارة الجنسية التي تبعث الخلل في آليات دفاع الأنا (سيجموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي ص55).

#### ب- وجهة النظر الاقتصادية :

دفع مشكل عصاب الحرب فرويد إلى أن يوجه انتباهه للصدمة النفسية من زاوية أخرى إنه التصور الاقتصادي لها ، فقد عرفها على أنها انكسار واسع لصد الإثارات كإشارة إلى عجز الجهاز النفسي على تصريف فيض الإثارات الكبير، ذلك أن إجلاء هذه الكمية المعتبرة من الإثارات هي مهمة مبدأ اللذة ، والذي بسبب عنف ومفاجئة الصدمة النفسية يجد نفسه مباشرة خارج التأثير. فبسبب المباغته لا يقوم القلق كإشارة إنذار بمهمته، وبالتالي لا تتم تعبئة العمليات الدفاعية بصفة ملائمة.

فالصدمة في محورها الثاني هي غياب النجدة في أجزاء الأنا التي ينبغي أن تواجه تراكم الإثارات التي لا تطاق سواء كانت ذات مصدر داخلي أو خارجي مما ينتج عنه اضطرابا بات دائمة في قيام الطاقة الحيوية بوظيفتها.

أشار فرويد إلى أن تسمية الصدمة تنطبق على تجربة معاشة تحمل معها الحياة النفسية وخلال وقت قصير نسبياً، زيادة كبيرة في الإثارة، لدرجة أن تصفيتها أو إرصانها بالوسائل السوية والمألوفة ينتهي بالفشل، مما ينتج عنه اضطرابات دائمة في قيام الطاقة الحيوية بوظيفتها، ويصبح فيض الإثارة مفرطاً بالنسبة لطاقة احتمال الجهاز النفسي، بسبب حادث فريد بالغ العنف، أو بفعل تراكم إثارات تظل محتملة إذا ما أخذت كل منها بمعزل عما سواها. وهذا ما يؤدي إلى فشل مبدأ الثبات على اعتبار أن الجهاز قادر على تفريغ الإثارة (Bergeret ص 268).

اعتبر فرويد في دراسته حول الهيستريا أن الصدمة النفسية تعرف بكمية الطاقة النفسية التي تحركها. كما يشير إلى تشابه اللائحة العيادية للعصاب الصدمي مع تلك المتعلقة بالهيستريا (سيجموند فرويد، ترجمة جورج طرابيشي ص 57) اللذين يتميزان بالمعاناة الذاتية الكبيرة والنشاط الدفاعي المفرط، وسيطرة الطابع المرضي الذي يهدف إلى تجنب الانهيار الاكتئابي الذي يتمكن من إرصائه بكل الوسائل، إذ تفشل الاستراتيجيات الهيستيرية في احتواء فيض الإثارات التي تبرز وتهدد تكامل الأنا، فيتم تفريغها في نشاطات متكررة ومؤلمة كالكوابيس على سبيل المثال، وأنه عند مواجهة الإنسان لوضعية خطيرة دون أن يكون مستعداً لها فإنه يدافع ضد الرعب بالقلق.

هذه النظرية الكمية الاقتصادية تعززت بفعل الحرب العالمية الأولى، حيث احتلت العصابات الصدمية مكانة هامة في دراسته بين 1916-1920 وأصبح مصطلح الصدمة ليس له إلا المعنى الاقتصادي، حيث تطلق تسمية الصدمة على حدث غير ممتد في الوقت والمكان، يحمل معه فيضاً من الاستثارة النفسية تفوق شدته عتبة التحمل التي يتوفر عليها الفرد، مما يخلق اضطرابات دائمة في استعمال الطاقة النفسية.

#### 2-4- معالجة الأنباءات : information processing

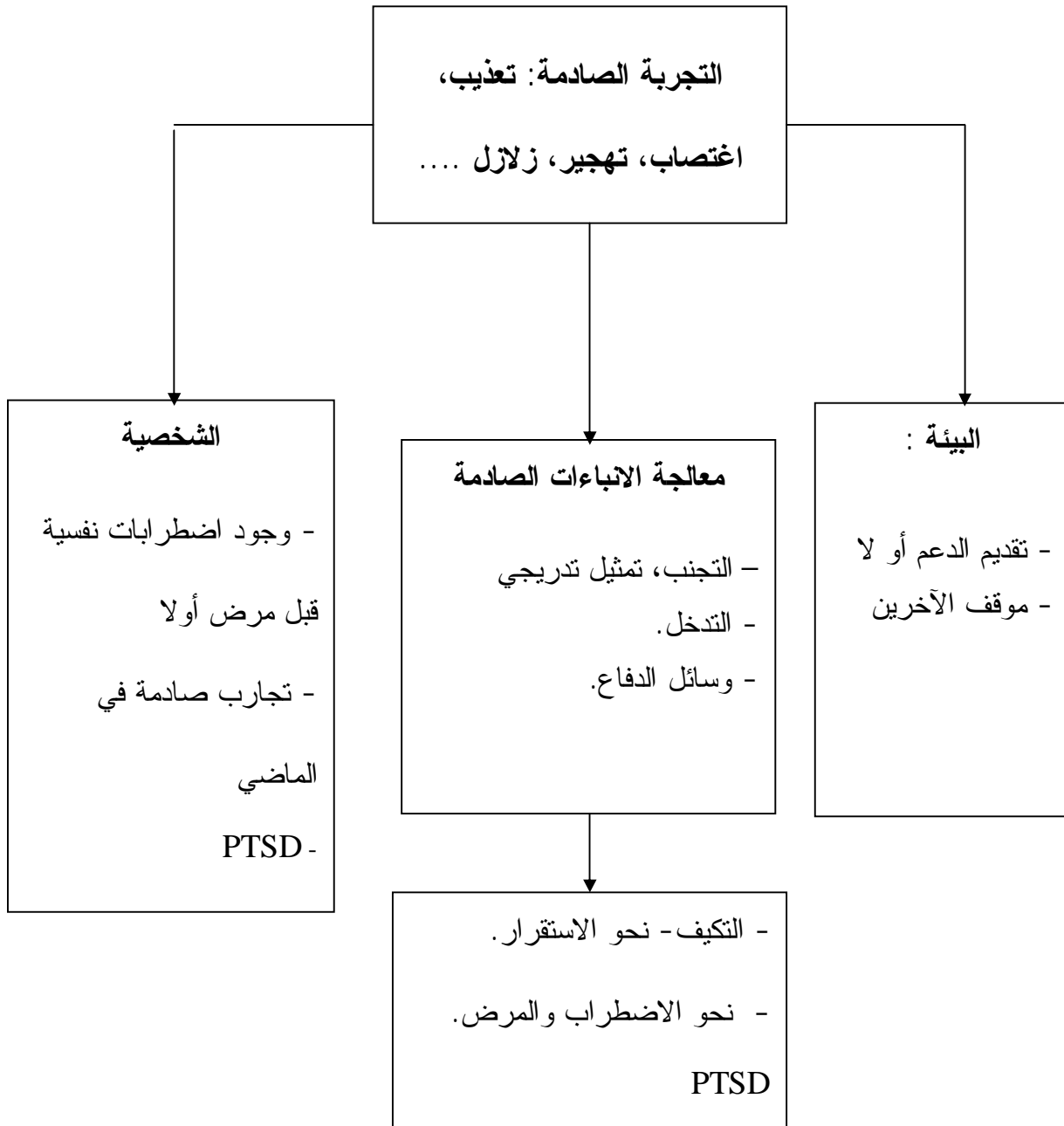
إن معالجة الأنباءات تعتبر من أهم النظريات التي حاولت أن تفسر اضطراب ما بعد الصدمة، فالأنباءات تغزونا من كل حذب وصوب، قسم منها يستوعبه الدماغ وتتم معالجته (ترميزه، حل الترميز، السلوك ) بينما لا تتم معالجة القسم الآخر بشكل صحيح لأن الأنباءات تكون ناقصة أو فوق طاقة الجهاز العصبي (جهاز الاستقبال ) كما هي الحال مثلا في الكوارث والصددمات بحيث لا تتلاءم المنبهات الخطيرة الطارئة مع خبرات الشخص ونماذجه المعرفية لأنها تتخطى الإطار السوي للتجربة الإنسانية. وهذا ما يؤدي إلى حدوث التشويه والاضطراب في معالجة الأنباءات. وفي هذه الحالة تبقى الأنباءات الصادمة ناشطة وبشكلها الخام وهي تستمر في ضغطها المؤلم على الشخص الذي يحاول عبثا أن يبعدها عن عتبة الوعي حتى يشعر بالراحة والأمان. غير أن الشخص المصدوم يلجأ عادة إلى استخدام بعض الوسائل الدفاعية السلبية مثل النكران والتبذ والتجنب. و هذه الوسائل الدفاعية تشكل السمات البارزة لاضطراب ما بعد الصدمة.

ويبدو أن المنبهات لا تغيب عن وعي الشخص بل إنها تغزو وبعنف رأسه من حين لآخر وتؤدي إلى المشاعر المؤلمة والصور والأفكار المأسوية المرتبطة بالصدمة. وهذا يعني أن المنبهات الصادمة تخضع لمبدأ التكرار القهري لذكرى الصدمة (كوابيس، أفكار وصور دخيلة...) و هكذا تبقى المنبهات الصادمة تضغط على الشخص حتى تتم معالجتها بشكل كامل، وليس من السهل أو الممكن أن تحدث هذه المعالجة نظرا لطبيعة الصدمة. لذا هناك تأرجح دائم بين عمليات التجنب والتكرار والتبذ، وهذه العمليات تسبق كل محاولة لاحتواء الصدمة(غسان يعقوب ص 70-71).

## 3-4- النموذج السيكولوجي:

حاول كل من green,wilson & lindey 1985 أن يضعوا نموذجا نفسيا واجتماعيا لتفسير اضطراب ما بعد الصدمة وهم يعتقدون بأن مصير الصدمة يتوقف من جهة على حدتها وطبيعتها ومن جهة أخرى على شخصية المصدوم ودور البيئة . إذ كلما كانت العوامل النفسية والبيئية ملائمة كلما كان المصدوم قادرا على تخطي آثار الصدمة واستعادة التكيف إلى حد معقول. ومن المؤسف أن نقول بأن ضحايا الكوارث الطبيعية خاصة هم الذين يلقون العون والاهتمام من جانب الأفراد والمنظمات والجمعيات الإنسانية بعكس ضحايا التعذيب والحروب والاعتداء. وهذه الحالة تنطبق مثلا على الجنود الأمريكيين الذين قاتلوا في الفيتنام . فالمجتمع ينظر إليهم نظرة احتقار ويعتبرونهم جماعة من المنحرفين والمجرمين. ويوضح الرسم التالي صورة ملخصة عن النموذج السيكولوجي. (غسان يعقوب ص 72-73).





النموذج السيكولوجي

## 4-4- نظرية التعلم والإشراف:

يعتقد Keane 1985 وزملاؤه بأن النموذج الأول الخاص بالإشراف الكلاسيكي والنموذج الثاني والخاص بالإشراف الفاعل (سكينز) يفسر لنا كيف يتشكل اضطراب ما بعد الصدمة بما في ذلك استجابة الإجهال وسلوك التجنب وتعميم المنبه المؤلم على منبهات أو أشياء أخرى غير مؤلمة أصلاً، بمعنى أن المنبهات الحيادية تصبح فيما بعد مشروطة.

إن الشخص المصدوم (حرب، تعذيب، اغتصاب...) يحاول أن يهرب من المنبهات التي تذكره بالصدمة (التجنب) وهذه المنبهات قد أصبحت مؤلمة للشخص لأنها اقترنت مثلاً بعمليات التعذيب أو تزامنت معها. من هنا يبدو أن الماضي المؤلم (التجربة الصادمة) يستمر عبر الحاضر والمستقبل وكان الصدمة تغطي على كل شيء بحيث لا يعود التفكير المنطقي يعمل بشكل سليم.

إن النموذج السلوكي يساعدنا إذن على فهم اضطراب ما بعد الصدمة من خلال نظرية التشريط. فالصددمات والنكبات والحروب وأعمال العنف تعتبر بمثابة منبهات مطلقة غير مشروطة تؤدي إلى استجابة الخوف وردات فعل فزيولوجية مطلقة. ويجري التعميم في استجابة الخوف إزاء المواقف والمنبهات التي ترمز إلى الصدمة أو تتشابه مع أدواتها.

ويتحدث Barlow 1988 عن الإنذار المكتسب، أي أن تعميم الخوف والخطر يمكن أن

ينظر إليه على أنه استجابة قد تم اكتسابها عن طريق الإشراف (غسان يعقوب ص 74-75).

## 4- 5 - النموذج المعرفي:

يرمي النموذج المعرفي إلى إدراك معنى الحدث عند الشخص وكيف تظهر لديه المعاناة. ويبدو أن هذا الأمر يتوقف على نظرة الشخص إلى ذاته والعالم. هنا ندخل في صلب القيم والمعتقدات والنماذج المعرفية التي تميز شخصا عن آخر. ومما لاشك فيه أن الصدمة تؤدي إلى زعزعة هذه البيانات الشخصية. ويرى Epstein 1991 أن نظرة الشخص إلى الواقع وتكيفه معه يرميان إلى تحقيق الأهداف التالية:

- الحفاظ على التوازن القائم بين كفتي اللذة والألم.
  - القدرة على فهم معطيات الواقع بطريقة تسمح للشخص بالتكيف معها بطريقة ما .
  - الحفاظ على اعتبار الذات بشكل مقبول.
  - الرغبة في الاتصال والكلام مع الآخرين.
- وعلى هذا الأساس يرى Epstein 1991 أن هناك ثلاث معتقدات شخصية تفسر موقف

الإنسان السوي من الواقع أو العالم الخارجي:

- إن هذا العالم هو مصدر الخير والإنشراح.
  - إن لهذا العالم قيمة ومعنى ويمكن التحكم به.
  - إن الأنا لها قيمتها وأهميتها الخاصة (فأنا شخص محبوب وجدير بالتقدير والاحترام).
- إن المعتقدات المذكورة موجودة كما ذكرنا عند الشخص السوي أو العادي والذي يثق بنفسه ويبنى آماله من خلال الواقع الذي يعيش فيه وبالتالي لا يتصور بأنه سوف يتعرض لفشل محتم أو لكارثة تخرج عن نطاق المعقول. وعندما تقع الكارثة تتحطم المعتقدات والآمال المذكورة ويشعر الشخص بالذهول والنقمة واليأس وكأنه لا يصدق ما جرى.

وهكذا تتحول المعتقدات الإيجابية إلى معتقدات سلبية ويصبح العالم الخارجي مرعبا وتافها للغاية. إذ تتسحق الأنا تحت وطأة الكارثة وتفقد معناها وقيمتها. وهنا تظهر أهمية العلاج المعرفي الذي يتناول بدقة معالجة الأفكار والمعتقدات السلبية حتى يتمكن الشخص المصدوم من إعادة بناء تجربته وتبديل مفهومه عن نفسه والواقع والآخرين.

#### 4 - 6 نظرية ويلسون وغموض الهوية:

اعتمد Wilson 1972-1977 على نظرية إريكسون لدراسة الهوية عند الجنود المقاتلين في فيتنام ووجد أن الجنود الذين تتراوح أعمارهم بين 18-24 سنة يتعرضون لضغوط ومخاوف شديدة تعرقل لديهم نمو الهوية الإيجابية. ومن المعلوم أن مرحلة المراهقة المتأخرة هي مرحلة الاستحقاقات (النجاح الأكاديمي ، الشهادة والاختصاص ، بناء الشخصية وعالم القيم ، تحديد المهنة والمستقبل ...) غير أن الحرب لا تسمح بتحقيق هذه الطموحات وبناء الهوية الإيجابية بشكل ملائم.

وجد ويلسن بأن الجنود في حرب فيتنام تنقصهم الهوية الإيجابية والأهداف الواضحة والطموحات. ومن الصفات البارزة لديهم: التبدل العاطفي والفكري، اليأس، عدم الثقة بالنفس، قلة الطموح، العزلة... وهذا يعني أنهم قد أخفقوا في تحقيق متطلبات النمو. فالعزلة التي حلت مكان الألفة وانخفض لديهم تقدير الذات وسيطر الغموض على هويتهم.

ويرد ولسن هذا الواقع المؤلم إلى إخفاق الشبان المقاتلين في فيتنام إلى تحقيق استحقاقات المراهقة وإلى غياب الدعم اللازم لهم من جانب المجتمع. هذا الإخفاق لن يسمح للشخص بتحقيق النجاح والتقدم في حياته المقبلة لأنه إخفاق كبير في بناء الهوية الإيجابية.

## 4-7- النموذج البيولوجي:

حاول بعض الباحثين أن يربطوا باضطراب ما بعد الصدمة بعمل الدماغ وما يطرأ عليه

من تبدلات كيميائية وفيزيولوجية ووظائفية

حسب فريد مان- ( G. Villa et all ص 16 ) فإن الصدمة تؤدي إلى ظهور التغيرات

والإختلالات التالية:

- 1- الإفراط في استجابة الجهاز الودي ( السمبثاوى).
- 2- النشاط الزائد للأدرينالين.
- 3- اختلال المحور التحت المهادي و النخامي.
- 4- تنامي في وظائف الغدة الدرقية.
- 5- المبالغة في استجابة الانطباعات الفجائية Sursaut.
- 6- الاختلال في تنظيم نسق النوم والأحلام.
- 7- احتمالات غير عادية في اختلال نسق السيروتونين، والدوبامين.
- 8- احتمال حساسية الأنوية للمفاوية Noyaux limbiques مع اضطرابات تخص

مستقبلات N.M.D.A و G. A. B. A – Benzodiazépines

9- احتمال الإختلالات المناعية.

فالاستجابة الأساسية للصدمة في شكل ضغط شديد يتجاوز قدرة احتمال الشخص حيث يلاحظ

في الوعي ، الحذر ، اليقظة ، العواطف ، اختلالات النوم، الانطباعات الفجائية. فاستجابات الضغط

تمثل تهديدا حيويا شديدا يؤدي إلى إضعاف مراقبة النقل العصبي للبنيات المتصلة، ولتحسيس

المستقبلات بالمنبهات الخارجية المماثلة. فالتهديد الشديد والمتكرر باستمرار يؤدي إلى حدوث نشاط

عام سيئ التكيف مع استجابات الإنذار التي تتناسب إكلينيكيًا مع تظاهرات حالة "الضغط ما بعد الصدمة".

ويرى Van der kolk 1984 أن الصدمة تؤدي إلى اضطراب في وظيفة الدماغ وبعض

أجزاء الجسم . وهذا الاضطراب يظهر على الشكل التالي:

1 - ارتفاع في نسبة الكاتيكولامين في الدم.

2 - ارتفاع نسبة الالاسيتيلكولين.

3 - انخفاض في نسبة النورايبيبينفرين.

4- انخفاض نسبة السيروتونين في الدماغ.

5 - انخفاض نسبة الدوبامين في الدماغ.

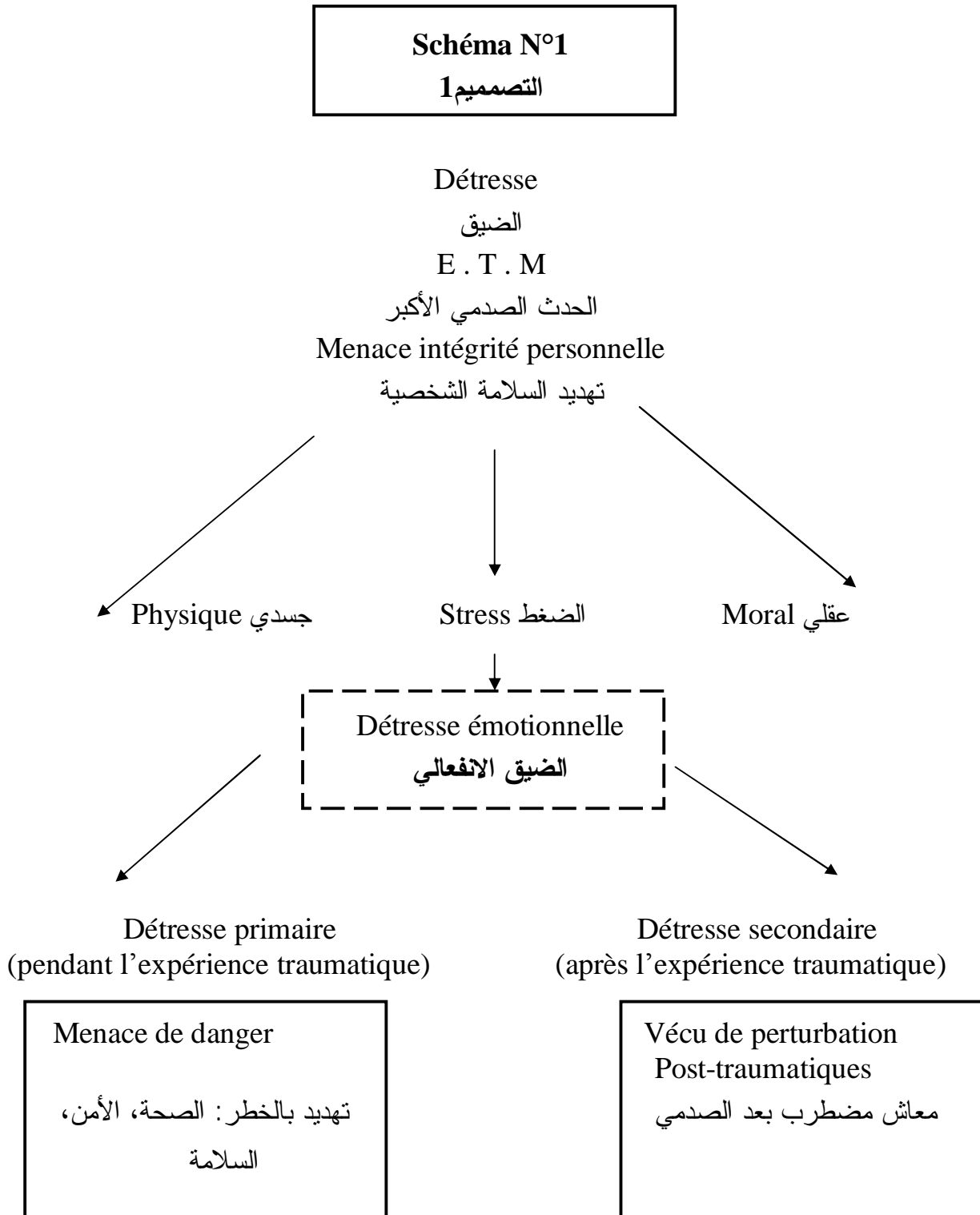
إذن مصير الصدمة مرتبط بنشاط الإفرازات المذكورة، ويبدو أن الدماغ يقوم بهذه الوظيفة عندما يتعرض الشخص للصدمة. وبعد أن تمر الصدمة تحدث حالة شبيهة بالانسحاب والذي يلاحظ في عوارض الانقطاع الفجائي عن تعاطي المخدرات. ومن المعلوم أن الانسحاب يترافق بعوارض نفسية فزيولوجية شديدة الألم. أما De la Pina 1984 فقد حاول الربط بين اضطراب ما بعد الصدمة وبين طبيعة الجهاز العصبي وهو يرى بأن الأشخاص الذين يعانون أكثر من سواهم هم الذين سيطر لديهم الجهاز البراسمبتاوي. لهذا فهم لا يتوصلون إلى تحقيق ترميز كاف للإنبئات المؤلمة والمفاجئة بشكل صحيح، كما أنهم يستجيبون فيزيولوجيا وبشكل غير اعتيادي لتلك المنبهات. ومن هنا شدة العوارض الفيزيولوجية مثل اضطراب النوم والكوابيس والاحتراز الشديد وهبات الغضب والعدوانية. وهذا ما يشير إلى أن معالجة الانبئات تتم بشكل خاطئ وناقص لأنها تعتمد على المنبهات الحسية بالدرجة الأولى.

**5 - وصف الخبرة الصدمية:**

كيف يعيش الفرد الخبرة الصدمية ؟ هل تحدث فجأة أم تتطور مع الزمن ؟ هل كل حدث يمكن أن يكون بحد ذاته خبرة صدمية ؟ ما هي الشروط لكي يتحول الحدث إلى صدمة نفسية؟ هل كل الأفراد هم ضحايا بنفس الدرجة ؟ متى وكيف نصنف الأشخاص إلى ضحايا؟ متى يمكن أن نتحدث عن الصدمة النفسية ؟... وغيرها من الأسئلة.

لذلك حاولنا أن نستعين ببعض النماذج التفسيرية التي أجابت على بعض هذه التساؤلات وهي

على النحو التالي:





### التعليق على النموذج الأول :

يبين الشكل الأول أنه في حالة تعرض الفرد للخبرة الصدمية بدرجة كبيرة فإنه يشعر أولاً بالتهديد في وحدة وجوده وسلامته الشخصية من الناحية الجسدية وكذا الناحية العقلية مما يؤدي إلى حالة من الضغط العالي تصل إلى مرحلة الضيق الانفعالي الذي ينقسم بدوره إلى قسمين:

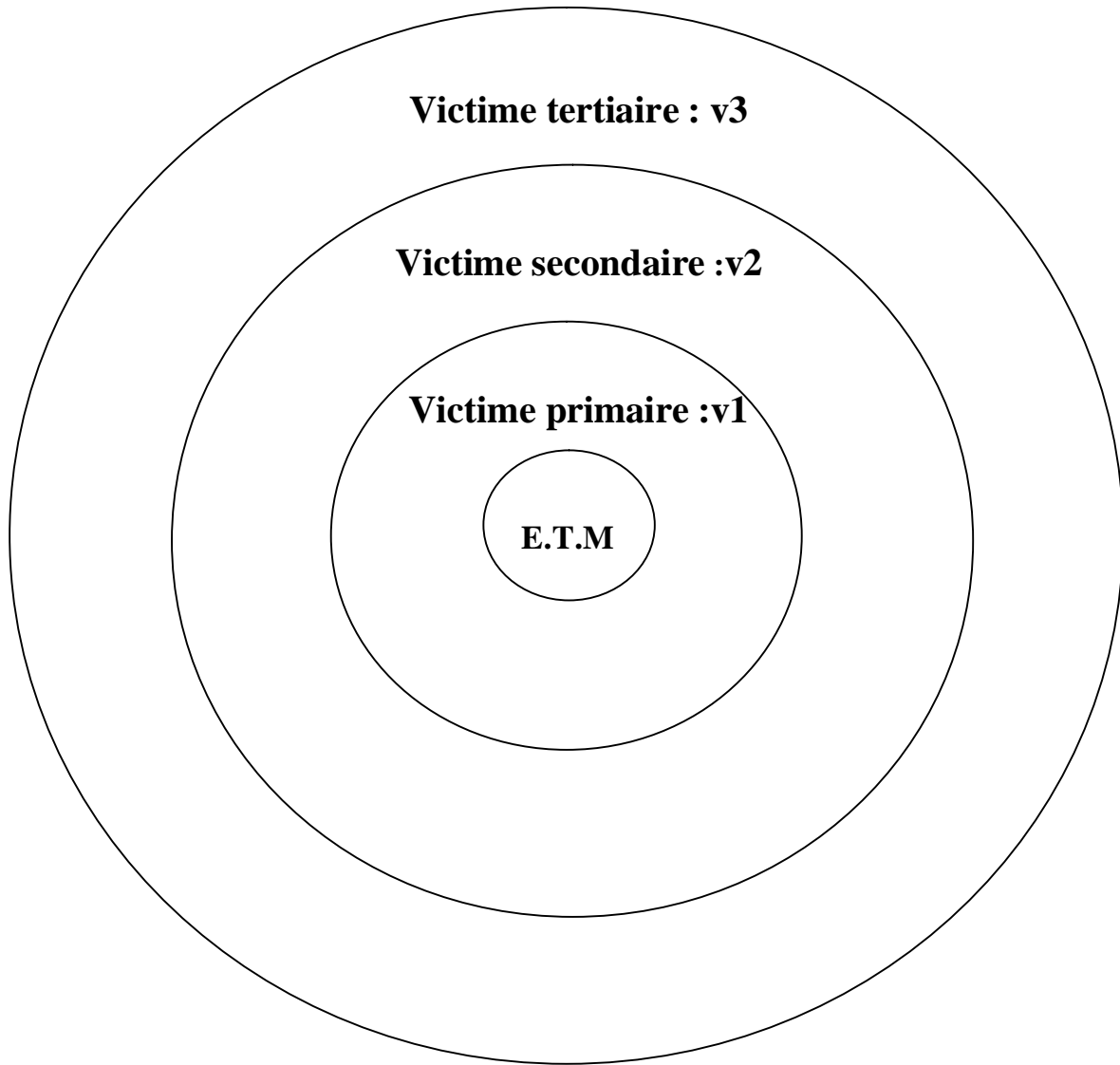
1 - الضيق الأولي: ويكون خلال التجربة الصدمية على شكل اضطرابات انفعالية حادة تؤثر

على صحة وسلامة الشخص.

2 - الضيق الثانوي: وتكون بعد التجربة على شكل معاش مؤلم بعد الصدمة.

**Schéma N 02**

التصميم الثاني



**Noyau traumatique**

نواة الصدمة

### التعليق على النموذج الثاني :

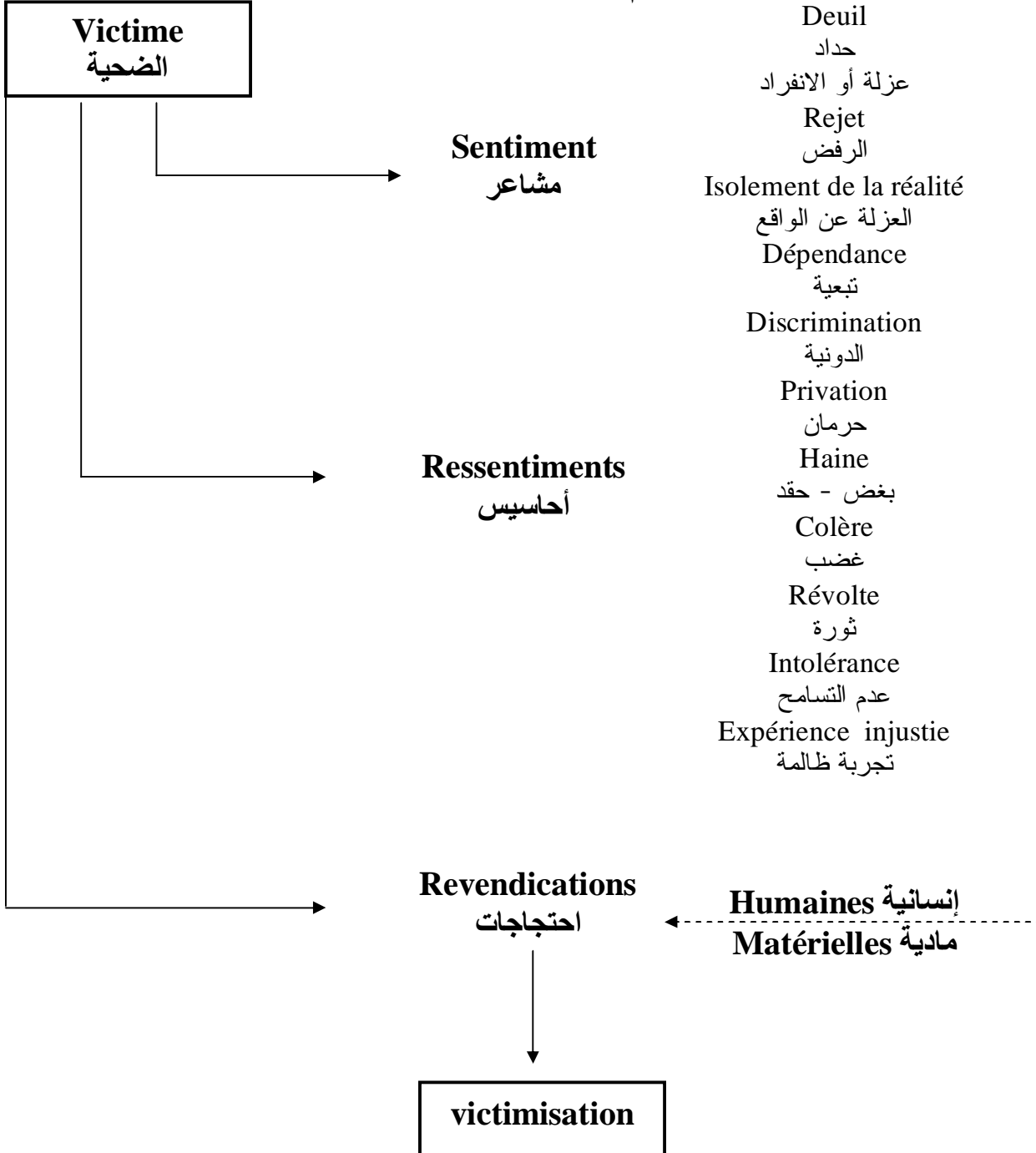
يمثل هذا النموذج البياني أن مستوى تضرر الأفراد من الحدث الصدمي ليس متساويا مما

يؤدي إلى تصنيفهم إلى عدة فئات:

- 1 - الضحية الأولية: وهي كل فرد تعرض للصدمة النفسية مباشرة.
  - 2 - الضحية الثانوية: وهي تمثل كل فرد له علاقة قرابة مع الضحية، مثل أفراد العائلة.
  - 3 - الضحية الثالثة: وتمثل المتدخلين والمنقذين مثل المجتمع مثلا.
- وفي حالة الكارثة تقسم فئات الضحايا حسب القرب أو البعد عن مركز وقوع الكارثة.

**Schéma n° 3**  
التصميم 3

**Schéma de vécu post traumatique**  
تصميم المعاش بعد الصدمة



### التعليق على النموذج الثالث :

يمثل هذا البيان تطور المعاش النفسي للضحية بعد الصدمة، حيث تمتلكها أولاً مشاعر تتمثل في الحداد والعزلة عن الأفراد والوحدة والرفض وبالتالي الإحساس بالتبعية. تتطور فيما بعد إلى مشاعر البغض والغضب وعدم التسامح وذلك للإحساس الجارف بالظلم يؤدي إلى معاش احتجاجي، مما ينجم عنه مطالب بالتعويض الخاص بالخسائر المادية والبشرية محاولة لتحقيق العدل.

## 1- عرض و التعليق على النتائج العامة:

## 1-1- عرض والتعليق على النتائج العامة للمحور الأول:

يتركز هذا المحور حول المعلومات العامة التي يعرفها الطلبة الجامعيين حول الكوارث الطبيعية، ويضم الأسئلة ذات الأرقام التالية: 5، 6، 7، 8، 27. كما نحاول من خلاله التعرف على مصادر المعرفة حول الكارثة الطبيعية الأكثر استعمالاً من طرف الطلبة، من خلال السؤال 30 ويحتوي على ستة بنود. مما يعطي صورة واضحة عن نوع الثقافة السائدة بين الطلبة حول الكوارث الطبيعية.

السؤال رقم 5: ما هي الكلمة أو مجموعة الكلمات التي تتبادر إلى ذهنك عند سماع كلمة "كارثة" ؟  
وبما أن صيغة السؤال مفتوحة فلقد حصلنا على أجوبة متعددة في شكل كلمات أو جمل قصيرة، جمعناها في فئات حسب ما تتمحور حوله معانيها، فكانت كالتالي:

- نتائج الحدث المادية مثال على ذلك كلمات: دمار، خراب، خسائر...الخ
- نتائج الحدث على الإنسان وما ينتابه من حالات جسدية أو نفسية مثال على ذلك كلمات: هلع، خوف، جراح، فراق....الخ
- العبارات ذات محتوى ديني صريح مثال على ذلك كلمات: لا حول ولا قوة إلا بالله، لأننا لله وإنا إليه راجعون، الخوف من الله، التوبة من المعاصي...الخ

النسبة المئوية	العدد	فئة الكلمات
28.7%	52	الحدث
46.4%	84	الإنسان
22.1%	40	الدين
2.8%	5	بدون إجابة
100%	181	المجموع

### الجدول رقم 1: عرض النتائج العامة للإجابات على السؤال 05.

من هذا الجدول يتوضح لنا أن غالبية الكلمات أو العبارات التي أجاب بها الطلبة - التي تخطر ببالهم عند سماع كلمة كارثة- تمحورت حول نتائج الكوارث الطبيعية على الإنسان ب 84 إجابة بنسبة 46.4% تليها عدد الإجابات المتمحورة حول النتائج المادية الحدث ب 52 إجابة أي بنسبة 28.7% ثم تتبعها بنسبة متقاربة الإجابات المتمحورة حول الإجابات ذات المعنى الديني ب 40 أي نسبة 22.1%. أي أن أفكار الطلبة حول الكوارث الطبيعية في أغلبها تركز على آثارها على الإنسان.

### السؤال رقم 6: ما هي أنواع الكوارث الطبيعية التي تعرفها ؟

و بما أن السؤال مفتوح و الإجابة على شكل تعداد لأنواع الكوارث التي يعرفها الفرد، ولقد صنفنا هذه الإجابات على شكل فئات الإجابات على شكل فئات على النحوين التاليين:

أ- عدد الكوارث المذكورة في الإجابة.

ب- تواتر - عدد المرات - ذكر نوع الكارثة الطبيعية في كل الإجابات.

أ- عدد الكوارث المذكورة في الإجابة.

عدد الأنواع المذكورة	العدد	النسبة المئوية
02	31	%17.1
03	76	%42.1
04	48	%26.5
05	18	%9.9
06	08	%4.4
المجموع	181	%100

الجدول رقم 2: عرض النتائج العامة على السؤال 06 (أ).

نلاحظ من هذا الجدول أن أكبر نسبة من إجابات الطلبة احتوت 03 أنواع من الكوارث الطبيعية بعدد 76 إجابة ما يعادل نسبة 42.1% ، بينما جاء تعداد 04 أنواع من الكوارث الطبيعية في إجابة 48 طالبا ما يعادل نسبة 26.5% ، و 18 طالبا ما يعادل نسبة 9.9% عددوا في إجاباتهم 05 أنواع و 08 طالبة ما يعادل نسبة 4.4% عددوا 06 أنواع من الكوارث، في حين ذكر 31 طالبا ما يعادل نسبة 17.1% 02 نوعين. معظم الطلبة عددوا في بين 03 و 04 أنواع من الكوارث الطبيعية في إجاباتهم.



ب-تواتر - عدد المرات - ذكر نوع الكارثة الطبيعية في كل الإجابات.

النسبة المئوية	العدد	نوع الكارثة
%100	181	الزلازل
%69	125	الفيضان
%60.7	110	البركان
%54.6	99	الإعصار
%40.8	74	الجفاف
%17.2	31	الانزلاق

الجدول رقم 3: عرض النتائج العامة حول السؤال 06(ب).

برزت في هذا الجدول كارثة الزلازل الطبيعية في كل الإجابات: 181 مرة أي 100% من عدد الإجابات الكلي تليه كارثة الفيضان 125 مرة-69% من مجمل الإجابات، ثم البركان 110 مرة-60.7% فالإعصار 99 مرة-54.6% لتأتي كارثة الجفاف 74 مرة 40.8% و أخيرا كارثة الانزلاق 31 مرة-17.2% من عدد الإجابات، وبذلك تكون كارثة الزلازل هي الأكثر ذكرا من طرف الطلبة.

## السؤال رقم 7- ماهي أهم كارثة طبيعية بالنسبة إليك ؟

أهم كارثة	العدد	النسبة المئوية
الزلازل	139	76.7%
الفيضان	27	14.9%
البركان	07	3.9%
الإعصار	02	1.1%
الجفاف	02	1.1%
الانزلاق	01	0.55%
بدون إجابة	03	1.7%
مجموع	181	100%

## الجدول رقم 4: عرض النتائج العامة حول السؤال 07.

نلاحظ من الجدول أن الزلازل هو أهم كارثة طبيعية لدى معظم الطلبة -139 طالب أي بنسبة 76.6%- يليه بفارق كبير الفيضان بعدد إجابات 27 بنسبة 14.9% ثم البركان بعدد إجابات 07 بنسبة 3.9%، ثم الإعصار بعدد إجابات 02 بنسبة 1.1% ونفس النتيجة بالنسبة للجفاف و بالنسبة لكارثة الانزلاق 01 إجابة واحدة بينما كان عدد الامتاع عن الإجابة 03 بنسبة 1.7%. و من هنا نلاحظ أن أهم كارثة طبيعية عند أغلب الطلبة هي الزلازل، وهذا موافق لترتيب الكوارث الطبيعية من حيث التواتر -عدد المرات- (الجدول الثالث).

## السؤال رقم 8- لماذا ؟

و في الإجابة عن السؤال الحر عن سبب أهمية الكارثة الطبيعية المختارة كانت الأجوبة في

شكل فئات كالتالي:

النسبة المئوية	عدد	سبب أهمية
63.5%	115	الأخطر
19.5%	36	تمس الجزائر
12.7%	23	الأكثر فجائية
3.9%	7	بدون إجابة
100%	181	مجموع

## الجدول رقم 5: عرض النتائج العامة حول السؤال 08.

حسب الجدول فقد أجاب 115 طالبا بنسبة 63.5% أن سبب اختيار الكارثة الطبيعية حسب

الأهمية كونها الأخطر، و36 منهم أي بنسبة 19.5% اعتبروا أن أهم الكارثة بنسبة إليهم هي التي

تمس الجزائر، بينما 23 طالبا بنسبة 12.7% أجابوا بأن الكارثة الأكثر فجائية هي الأهم بالنسبة لهم،

كما نلاحظ أن 07 طالب بنسبة 3.9% امتنعوا عن الإجابة. و بالتالي فإن درجة خطورة الكارثة

الطبيعية هي المحددة لأهميتها بالنسبة لمجمل الطلبة.

## السؤال رقم 27- ما الذي يؤثر أكثر على نتائج الكارثة الطبيعية ؟

النسبة المئوية	العدد	البند
14.9%	27	شدة الكارثة
38.6%	70	الظروف قبل الكارثة
46.4%	84	تكفل بعد الكارثة
100%	181	المجموع

## الجدول رقم 6: عرض النتائج العامة حول السؤال 27

من هذا الجدول نلاحظ أن 84 طالبا بنسبة 46.4% يرون أن ظروف التكفل بعد الكارثة هي الأكثر تأثيرا و 70 طالبا بنسبة 38.6% يرون أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية هي العامل الأكثر تأثيرا في نتائج الكارثة الطبيعية، بينما يرى 27 طالبا بنسبة 14.9% أن شدة الكارثة هي الأكثر تأثيرا على النتائج. يرجح الطلبة أن العوامل البشرية-ظروف ما قبل الكارثة الطبيعية وظروف التكفل بعدها- أكثر تأثيرا في نتائج الكارثة من العامل الإلهي- شدة الكارثة نفسها-.

## السؤال 30: من أين استسقيت معلوماتك حول الكارثة الطبيعية:

المجموع	لا	نعم	البنود
181 %100	112 %61.9	69 %38.9	كتب
181 %100	131 %72.4	50 %27.2	الصحافة المكتوبة
181 %100	35 %19.3	146 %80.7	تلفزيون
181 %100	85 %47	96 %53	المصادر الدينية
181 %100	124 %68.5	57 %31.5	المصادر الاجتماعية
181 %100	153 %84.5	28 %15.5	الانترنت

## الجدول رقم 7: عرض النتائج العامة للإجابات على السؤال 30.

نلاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة من العينة أجابت بنعم على البندين ج ود بنسبة 80.7% مقابل 19.3% للتلفزيون و نسبة 53% مقابل 47% للمصادر الدينية وبالتالي فإن المصدرين الأساسيين للمعلومات حول الكوارث الطبيعية الأكثر استعمالاً من طرف الطلبة هما التلفزيون خاصة وبصفة أقل المصادر الدينية بينما الإجابة ب لا كانت غالبة في باقي البنود بحيث:

38.1% نعم مقابل 61.9% لا لبند الكتب

27.6% نعم مقابل 72.4% لا لبند الصحافة المكتوبة

31.5% نعم مقابل 68.5% لا لبند المصادر الاجتماعية

15.5% نعم مقابل 84.5% لا لبند الانترنت.

مما يجعل ترتيب مصادر المعلومات حول الكوارث الطبيعية حسب كثرة استعمالها من طرف

الطلبة كالتالي:

1. التلفزيون
2. المصادر الدينية
3. الكتب
4. المصادر الاجتماعية
5. الصحافة المكتوبة
6. الانترنت

## مناقشة النتائج العامة للمحور الأول:

اتضح من الإجابات أن أول شيء يخطر ببال أغلب الطلبة عند التفكير بالكارثة الطبيعية هو نتائج الكارثة الطبيعية على الإنسان والخطر الذي يتعرض إليه والأضرار الجسدية والنفسية التي تلحق به وذلك ناتج زيادة عن كون ذكر الكارثة -وماشابهها من أحداث صدمية- يحي كل الهومات النائمة حول الموت لتتجسد في متتالية الأحداث ( Bailly ص 38) هناك عملية نفسية تحدث كرد فعل عند مواجهة رؤية أناس يتعرضون للعنف أو الخطر وهي التقمص بالضحايا Identification aux victimes والتي ذكرها لوي كزوك في موضوع الوقع الانفعالي للمشاهد والصور - حقيقية أو تلفزيونية- لضحايا الحروب والكوارث و...والذي يبدأ بأحاسيس تضامن والمشاركة الوجدانية ليصل إلى حد التقمص بالضحايا. وهذه العملية حسب كروك دائما تشكل عائقا مهما عند التدخل للإغاثة حيث تحدث عند بعض المتدخلين في أماكن الإغاثة مع ما يحصلون عليه من تدريبات مسبقة حول الانفصال النفسي عن الضحايا (L. Crocq 1989 ص 415).

و عن التواتر والأهمية فإن أهم كارثة طبيعية و الأكثر ذكرا بالنسبة للطلبة هي كارثة الزلزال ثم كارثة الفيضان لتأتي كارثة البركان فكارثة الإعصار مع فارق كبير جدا بين الكارثتين الأوليتين والثانيتين. وهذا الترتيب ناتج عن: أن الزلزال والفيضان هما كارثتان الأكثر وقوعا في تاريخ الجزائر الحديث وآخر كارثتان وقعتا في الجزائر (زلزال بومرداس 2003، وفيضانات باب الواد 2001). وبالتالي اختزال الكوارث الطبيعية في كارثتي الزلزال والفيضان وخاصة كارثة الزلزال وسبب هذا الاختزال هو خاصية من خصائص التصورات الاجتماعية والتي تشترك فيها مع التفكير

الطفولي حسب لوي كروك وهي خاصية التعميم أي تعميم جزء من الموضوع ليصبح الموضوع نفسه (Crocq ص )

أما عن المعرفة العامة فإن تعداد أنواع الكوارث كان أغلبه بذكر 03 أنواع أو 04 أنواع اثنين منهما غالبا هما الزلزال والفيضان، ثم 02 نوعين بينما كانت نسبة الإجابات بتعداد 05 أنواع و 06 أنواع قليلة مقارنة بغيرها وهذا راجع يمكننا القول بأن المعلومات أو المعرفة الأكثر رواجاً بين الطلبة حول موضوع الكوارث الطبيعية تعتمد على الثقافة التلفزيونية بصفة خاصة تليها الثقافة الدينية ليأتي الكتاب في المرتبة الثالثة والانترييت في المرتبة الأخيرة- حسب الإجابات عن السؤال رقم 30- وهما الوسيلتين اللتان كان يفترض أن تكونا الأكثر استعمالاً حسب خصائص عينة الدراسة وبذلك فإن معرفة الطلبة حول الكوارث الطبيعية فيها الكثير من معرفة رجل الشارع.

أما عن سبب الأهمية فإن أغلب الطلاب أجاب بأن "مستوى الخطر" هو المحدد الأكبر لأهمية الكارثة الطبيعية وذلك بسبب اختزال الكوارث الطبيعية في الكارثة الزلزال - مستوى الخطر يعني درجة انعدام الأمن - وكما قال بايلي فإن في حالة الزلزال: "لا يمكن إيجاد مكان يتوفر فيه مستوى من الأمان ويتحول المحيط الذي كان رمزاً للاستقرار فجأة إلى مصدر كبير للخطر".

ثم يأتي بفارق كبير سبب ثاني للأهمية هو كونها "تمس الجزائر" (تمس المفحوص نفسه) وبعد ذلك سبب كون وقوعها "أكثر فجائية من غيرها" وغير قابل للتوقع وهي الإجابة الموضوعية لمن اختار الزلزال كأهم كارثة ويرجع هذا الترتيب إلى عملية التقمص دائماً دون أسباب موضوعية للأهمية مثل الأكثر وقوعاً في العالم أو الأكثر إحداثاً للدمار والخسائر ...

ثم عن أكثر العوامل تأثيراً في نتائج الكارثة فإن "ظروف التكفل بعد الكارثة" كان العامل الأكثر اختياراً في إجابات الطلبة وذلك بسبب ما حدث بعد آخر كارثتين (باب الواد و بومرداس) في



الجزائر والتأخر في عودة الضحايا إلى الحياة العادية لفترة طويلة، ثم يليها عامل "الظروف الاجتماعية والاقتصادية قبل وقوع الكارثة" وربط ذلك عموماً بمؤسسات الدولة وذلك أيضاً مثلما حدث في بومرداس من خسائر مادية وبشرية بسبب الغش في المباني، أما عامل "شدة الكارثة" نفسها فقد جاءت نسبة الإجابات عنها ضعيفة جداً مقارنة بغيرها ومن ذلك نلمس أن العوامل المؤثرة في نتائج الكارثة ليست العوامل المباشرة بل الغير مباشرة، أي أن سوء نتائج الكارثة لا يكون بسبب الكارثة الطبيعية نفسها - أي الإرادة الإلهية - بقدر ما هو بسبب الإنسان المسئول عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية السابقة للكارثة وظروف التكفل بعد الكارثة. حسب بايلي L.Bailly فإن خصوصية الوضعية في حالة الكوارث الطبيعية تكمن في أن الأفراد لا يستطيعون توجيه اللوم وردود أفعالهم العدوانية إلى جهة معينة في البداية لأن سبب الكارثة المباشر ليس أفعال بشرية بل اختلال في التوازن والاستقرار الطبيعي - الإلهي - الذي كان يبدو دائماً ومستمرًا وغير قابل للاهتزاز، لكن هذا العدوان - خاصة عند الناجبين من الكوارث الطبيعية - يتجه في مرحلة لاحقة نحو مجموعة بشرية معينة: تأخر فرق التدخل و الإنقاذ، عدم كفاءة المنقذين، نقص الوسائل، عدم رقابة الإدارة، هشاشة البنيات، قصور الدور الإعلامي... وبذلك يتم إرجاع الحدث إلى البعد البشري القابل للتحكم. مثال على ذلك دراسة لدونابديان 1994 D.Donabédian ( Bailly ص 96) وهي رد فعل بعض الأرمن بعد زلزال 1988 "الذين أرجعوا سبب الزلزال إلى انفجار نووي تحت الأرض قام به السوفييات ضددهم لقمعهم لرغبتهم في الاستقلال عن الاتحاد السوفياتي" وذلك باعتماد تفسير: الحدث مدمر - السوفييات يريدون إيذاءنا - إن السوفييات هم الذين تسببوا في وقوع هذا الحدث.

### 1-2- عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الثاني:

المحور الثاني : و يخص تصور ما قبل الكارثة و يضم الأسئلة 09، 10، 11، 12، 13، نحاول في هذا المحور أن نكشف عن تصور الطلبة لإمكانية توقع و أخذ الاحتياطات لمواجهة الكارثة.

#### السؤال رقم 9- هل توجد إشارات تسبق الكوارث الطبيعية ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
96.6%	175	نعم
3.3%	06	لا
100%	181	المجموع

الجدول رقم 8: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 09.

نلاحظ من خلال الجدول أن غالبية الطلبة وعددهم 165 بنسبة 91.2% يرون أن هناك

إشارات تسبق الكوارث الطبيعية بينما 16 طالبا نسبة 8.8% لا يرون لهذه الإشارات وجود.

## السؤال رقم 10- من يستطيع التعرف على هذه الإشارات ؟

المجموع	لا	نعم	البند
181 %100	166 %91.7	15 %8.3	أشخاص لديهم حاسة سادسة
181 %100	177 %97.8	4 %27.2	الطلبة، الشوافات والمنجمين
181 %100	99 %54.7	82 %45.3	بعض الحيوانات
181 %100	62 %34.3	119 %65.7	هيئات علمية متخصصة

## الجدول رقم 9: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 10

حسب الجدول فإن النسبة الكبيرة من الطلبة يرون تمكن الهيئات العلمية المتخصصة من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية، 65.7% أجابوا بنعم مقابل 34.3% منهم بلا على نفس البند. بينما لا يعتبرون أن لأصحاب الحاسة السادسة -91.7% - ولا للعرافين والشوافات -97.8% - القدرة على التعرف على الإشارات السابقة للكوارث الطبيعية.

وتقاربت نسبة الإجابات بين الطلاب حسب الجدول 45.3% نعم مقابل 54.3% لا حول تمكن الحيوانات من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية.

**السؤال رقم 11-** هل يمكن أخذ الاحتياطات لمواجهة الكارثة الطبيعية ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
93.9%	170	نعم
6.1%	11	لا
100%	181	المجموع

**الجدول رقم 10:** عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 11.

يرى معظم الطلاب 170 أي بنسبة 93.9% إمكانية أخذ الإحتياطات لمواجهة الكوارث

الطبيعية بينما يرى 11 طالبا أي بنسبة 6.1% عدم إمكانية ذلك.

**السؤال رقم 12-** من عليه أخذ الاحتياطات ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
5.6%	10	المواطنين
2.8%	5	مؤسسات الدولة
86.6%	157	كلاهما
5.0%	9	بدون إجابة
100%	181	المجموع

**الجدول رقم 11:** عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 12

من الجدول يتضح أنه أجاب معظم الطلاب 157 طالبا أي بنسبة 86.6% بأن أخذ الإحتياجات يقع على المواطنين ومؤسسات الدولة معاً، بينما أجاب 05 منهم أي 2.8% أن ذلك على مؤسسات الدولة و 10 طلبة أي 5.6% على المواطنين، كما أن 9 طلبة أي 5.0% لم يجيبوا على هذا السؤال.

### السؤال رقم 13- رتب الأنواع التالية من الإحتياجات حسب الأولوية من وجهة نظرك

البنود	العدد	النسبة المئوية
المأوى	8	4.4%
الغذاء	7	3.9%
الدواء	9	5.0%
إعلام السكان	83	45.9%
برامج تدريبية	68	37.6%
الهروب	6	3.4%
المجموع	181	100%

### الجدول رقم 12: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 13

من خلال هذا السؤال أردنا التعرف على أولويات الإحتياط عند الطلاب فأخذنا أول إجابة بنسبة لكل طالب. أجاب 83 منهم بنسبة 45.9% أن إعلام السكان هو أهم إحتياط ثم 68 بنسبة 37.6% البرامج التدريبية ثم نسب إجابات ضعيفة ب 9 إجابات بنسبة 5.0% الدواء ثم 8 إجابات بنسبة 4.4%المأوى ثم 7 إجابات بنسبة 3.9% الغذاء ثم 6 بنسبة 3.4% الهروب كآخر إحتياط.

## مناقشة النتائج العامة للمحور الثاني:

في حين أن غالبية الطلاب قد اتفقوا على وجود إشارات تسبق الكوارث الطبيعية حيث منهم 165 بنسبة 91.2% يرون ذلك مقابل 16 طالبا بنسبة 8.8% لا يرون لهذه الإشارات وجودا، فقد اختلفوا في من يستطيع التعرف على هذه الإشارات.

تساوت نسبة الإجابات بين الإيجاب والنفي عند أغلب الطلبة حول تمكن الحيوانات من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية حسب الجدول 45.3% نعم 82 طالبا مقابل 54.3% لا 99 طالبا بسبب أن هذا البند له شقين متقابلين الأول ثقافي تقليدي وآخر علمي بحث فمثلا ثقافيا: يتشام الناس من البوم لأنه مجرد سماع صوته يجلب المصائب، كما أنه في بعض مناطق الجنوب يبعد الكلب إذا أحدث صوتا قريبا من العواء وقد يصل الأمر إلى قتله لأن ذلك دليل أن صاحب البيت سيموت، بينما نجد في الجانب العلمي تفسيراً آخر وذلك أن المجال الحسي للحيوانات أكبر من المجال الحسي للإنسان مثلا لا يستطيع الإنسان أن يبصر في المجالي الأشعة فوق البنفسجية أو تحت الحمراء تستطيع بعض الحيوانات ذلك مما يجعلها مؤهلة لإستقبال إشارات من الطبيعية لا يستطيع الإنسان التعرف عليها.

مع أن الإجابة الموضوعية حول تمكن الهيئات العلمية المتخصصة من التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية هي بالإيجاب حسب أهم خصائص المجموعة الاجتماعية -الطلبة- وهي العلمية scientificité مما يجعلها إجابة جالبة للتقدير Valorisante ، إلا أن نسبة معتبرة -34.3%- من الطلبة أجابوا بلا مقابل 65.7% بنعم، وذلك بسبب اختزال الكوارث الطبيعية في كارثة الزلازل (كما ظهر في المحور السابق) والتي لا تزال غير قابلة للتوقع من طرف الهيئات العلمية المتخصصة.

أما فيما يخص استطاعة أصحاب الحاسة السادسة والعرافين والشوافات التعرف على إشارات الكوارث الطبيعية فإن إجابات الطلاب كانت بنسبة الكبيرة ب لا - 91.7% للحاسة السادسة و97.8% للعرافين والشوافات، و هو المتوقع حسب البيئة العلمية التي يتواجدون فيها إلا انه ظهرت نسبة ضعيفة لنعم 8.3% للحاسة السادسة و 2.2% للعرافين والشوافات وسبب هذا الظهور منحى وسائل الإعلام عامة و بصفة خاصة التليفزيون نحو هذا الاتجاه خاصة في ما يتعلق بالنتجيم فمع مطلع كل سنة تتطاعنا الفضائيات بتوقعات المنجمين حول كل مظاهر الحياة ومنها الكوارث الطبيعية، والفارق بين النسبتين هو وجود شبهة دينية في المنجمين أكبر من الحاسة السادسة. حيث أنه من أساسيات الإيمان في الدين الإسلامي أن لا أحد يعلم الغيب إلا الله.

رغم أن أغلبية الطلاب 93.9% يرون بإمكانية أخذ الإحتياطات لمواجهة الكارثة إلا أن وجود نسبة 6.1% منهم يتصورون أن ذلك غير ممكن و ذلك بسبب ظاهرة الانبهار (لوي كروك) بالقوة الطبيعية-الإلهية- الخارقة المتسببة في الكارثة والتي لا يستطيع لأحد مواجهتها ولا حتى توقعها إذ أن من مظاهر قوتها عنصر المفاجأة.

كما يتصورون أن مسؤولية ذلك تقع على كاهل كل من مؤسسات الدولة والمواطنين في آن واحد 82.9% وهو اتجاه تعاون وتفاعل إيجابي بين مؤسسات الدولة والمواطنين وهو اتجاه وسط بين اتجاه الإعتمادية أو الإتكالية - أن المسؤولية تقع على مؤسسات الدولة لوحدها 9.4%- واتجاه عدم الثقة في مؤسسات الدولة أو رفضها للإحساس بالإهمال Sentiment d'abandon من طرفها - بحيث تقع الإحتياطات على المواطنين فقط 2.8%- وتفسر هذه النتائج ما تحصلنا عليه حول ترتيب أولويات الإحتياطات الذي جاء في الإجابة عن السؤال رقم 13 فإن إعلام السكان والبرامج التدريبية مثلت الإحتياط الأكثر أهمية عند الطلبة 45.9% و37.6% وجاءت كل الإحتياطات الأخرى

بنسب إجابة ضعيفة جدا مما يؤهل المواطنين إلى تحمل المسؤولية في وضعية الكارثة الطبيعية و يدل ذلك أيضا على أهمية العنصر البشري مقارنة بالمادي، و كذلك الإحساس بالمسؤولية من طرف المواطنين.

إن فتصور الطلاب لهذا المحور هو أنه للكوارث الطبيعية إشارات سابقة لها يمكن للهيئات العلمية التعرف عليها تليها في ذلك بعض الحيوانات، وأنه على المواطنين بالتعاون مع مؤسسات الدولة في أخذ الاحتياطات التي يكون على رأسها العنصر البشري.

### 1-3- عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الثالث:

**المحور الثالث:** و يضم الأسئلة 14، 15، 16، 17، 18 و يخص أسباب الكارثة حيث نلاحظ فيه بروز التصور الديني (بمفهوم الموروث الثقافي وليس العلمي).

#### السؤال رقم 14- هل يوجد ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
96.7%	175	نعم
3.3%	6	لا
100%	181	المجموع

#### الجدول رقم 13: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 14

أجاب أغلب الطلاب وعددهم 175 أي بنسبة 96.7% بأن هناك ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية مقابل 6 من الطلاب أي نسبة 3,3 % نفوا ذلك.



السؤال رقم 15 - هل سبب ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية هو:

النسبة المئوية	العدد	البنود
11.0%	20	تغيرات طبيعية
24.9%	45	حكمة إلهية
64.1%	116	كلاهما
100%	181	المجموع

الجدول رقم 14: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 15

كانت الإجابات الغالبة 116 أي بنسبة 64.1% أن التغيرات الطبيعية والحكمة الإلهية سببا في

ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، بينما اختار 45 طالبا أي بنسبة 24.9% بند الحكمة الإلهية وأختار 20

منهم أي نسبة 11.0% بند التغيرات الطبيعية. و بالتالي فإن الحكمة الإلهية -الإجابة الدينية- هي

السبب في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

السؤال رقم 16- فيما تتمثل -التغيرات الطبيعية لكوكب الأرض- المسببة ارتفاع في عدد

الكوارث الطبيعية ؟

المجموع	لا	نعم	البنود
181 %100	116 %64.1	65 %35.9	تقارب القارات
181 %100	103 %56.9	78 %43.1	ثقب في طبقة الأوزون
181 %100	161 %89.0	20 %11.0	الزيادة الكبيرة في عدد سكان الأرض
181 %100	102 %56.4	79 %43.6	الاحتباس الحراري

الجدول رقم 15: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 16

نلاحظ من الجدول أن المنحى الغالب في كل الإجابات على كل البنود هو الإجابة بلا، وبالتالي

فإن معظم الطلبة لا يرون في أي من الظواهر الطبيعية سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية:

تقارب القارات - 64.1% إجابة بلا- ثقب طبقة الأوزون - 65.9%- زيادة عدد السكان - 89.0%-

الاحتباس الحراري- 56.3%-.

## السؤال رقم 17 - فيما تتمثل -الحكمة الإلهية- المسببة ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية ؟

المجموع	لا	نعم	البنود
181 %100	90 %49.3	91 %50.3	ابتلاء إيمان الناس
181 %100	127 %70.2	54 %29.8	إنذار إلهي
181 %100	81 %44.7	100 %55.2	عقاب إلهي
181 %100	134 %74.0	47 %26.0	علامة من علامات الفناء

## الجدول رقم 16: عرض النتائج العامة حول السؤال رقم 17

بين كل البنود برز بند -عقاب من الله كسبب أول في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، حيث أجاب 100 طالب أي 55.2% بنعم على هذا البند و 81 أي 44.7%. وتساوت الإجابات تقريبا بين نعم و لا: 91 إجابة -50.3% من مجموع الطلبة- بنعم أن ابتلاء إيمان الناس سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، بينما 90 إجابة - 49.3% من مجموع الطلاب - بلا أن ابتلاء إيمان الناس ليس سببا في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية. بينما غلبت الإجابة بالسلب على البندين المتبقين: (70.2%) الإنذار الإلهي- (74.0%) علامة من علامات الفناء.

## السؤال رقم 18 - هل -الحكمة الإلهية- المسببة لكوارث الطبيعة تكون بسبب:

النسبة المئوية	العدد	البنود
11.6%	21	كل الناس
84.5%	153	بعض الناس
3.9%	7	بدون إيجاب

## الجدول رقم 17: عرض النتائج العامة حول السؤال 18

يرى 153 طالبا وهي نسبة 84.5% من مجمل الطلبة أن بعض الناس هم المتسببين في وقوع الحكمة الإلهية لارتفاع عددا لكوارث الطبيعة، وهم حسب السؤال التوضيحي الإضافي من يتصفون بالمعصية والفسق والخروج عن أوامر الله -100% من الإجابات-. ويرى 21 منهم ونسبتهم 11.6% أن كل الناس متسببين في ذلك بينما فضل 7 من الطلبة أي نسبة 3.9% عدم الإجابة

## مناقشة النتائج العامة للمحور الثالث:

يرى أغلب الطلبة أن هناك ارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية وهو شيء حقيقي أثبتته الإحصائيات العلمية حسب تقارير مؤسسات الأمم المتحدة. وكذلك انقسم الطلبة حول أسباب هذا الارتفاع في عدد الكوارث الطبيعية بين الحكمة الإلهية والحكمة الإلهية مع التغييرات الطبيعية وكلاهما تفسير ديني ولكن الأول مباشر و صريح بينما الثاني غير مباشر ضمني وغير واضح واختارت نسبة قليلة 11.0% من الطلبة التغييرات الطبيعية لكوكب الأرض كسبب لارتفاع الكوارث الطبيعية وهو التفسير العلمي للظاهرة ونرى هنا جليا غلبة التفسير الديني. حيث يبرز عقاب الله للناس العصاة لأوامره حيث يقول بوحدانية: "إن الخيالي L'imaginaire على وجه الخصوص لا يمكن فصله

عن البعد الديني، إن هناك علاقة أساسية بين الخيالي L'imaginaire والروحي. وأنه يمكننا القول أن الممارسات الدينية في الإسلام تحمل معانيها أساساً من المظهر الخيالي " (بوحديبة ص 48)

ويرى مالك شبل في دراسته الخيالي العربي-الإسلامي: " أن فناعات الفرد العربي المسلم هي تلك التي يسطرها له علماء الدين ، وعلى كل حال إن علاقة العربي بالمقدس أساسية بالغة الأهمية" ( M.Chebel ص 371 )

وفي مظاهر التغييرات الطبيعية لكوكب الأرض المتسببة في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية كانت معظم الإجابات بلا وذلك تماشياً مع الإجابات على السؤال السابق والذي اعتبرت بنسبة كبيرة التغييرات الطبيعية لكوكب الأرض ليست سبباً في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، أما نسب الإجابات بنعم فقد جاء فيها ترتيب هذه المظاهر كالتالي: 1- الاحتباس الحراري 2- ثقب طبقة الأوزون 3- تقارب القارات 4- زيادة عدد سكان الأرض.

أما في تجليات حكمة الله في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية فقد كانت الإجابة الأكثر اختياراً من الطلبة هي أن عقاب الله هو السبب في ذلك في حين انقسم الطلبة بالتساوي تقريباً حول ما إذا كان ابتلاء إيمان الناس هو مظهر أو تجلي الحكمة الإلهية المتسببة في ارتفاع عدد الكوارث الطبيعية، بينما كانت غالبية أجوبة الطلبة ترجح لا على باقي البنود والتي كان ترتيبها كالتالي: الإنذار الإلهي ثم علامة من علامات الفناء.

كما جاءت إجابات الطلبة على المتسبب في ظهور الحكمة الإلهية والتي هي في أغلب الإجابات العقاب من الله أن بعض الناس هم المتسببون في ذلك مع ظهور عدد امتناع عن الإجابة يدل على القلق، وفي السؤال الجانبي حول تحديد هؤلاء الناس كان كل الإجابات تصفهم بالمعصية والفسوق والفساد الأخلاقي وذلك بسبب ما أسمته كلودين هيرزليش C.Herzlich في دراستها حول

"التصور الاجتماعي للمرض" بالتقابل المضاعف بين الصحة والمرض وبين الفرد والمجتمع: "... إن الفرد يحاول أن يفرق بينه وبين المجتمع العدواني ومن هنا يؤكد عدم مشاركته في المرض... فسبب المرض : المجتمع، طريقة الحياة المتبعة... إذ أن تبرئته هي اتهام... وبالتالي فإن المعنى العام للتصور يكمن في رفض تحمل المسؤولية في حدوث المرض" (Seca ص 45)

#### 1-4- عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الرابع:

المحور الرابع: يدور محتواه حول الموت خلال الكارثة و يضم الأسئلة 19، 20، 21، 22،

السؤال رقم 19- هل الموت بسبب الكارثة الطبيعية يختلف عن الموت بسبب آخر؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
26.5%	48	لا
73.5%	133	نعم
100%	181	المجموع

#### الجدول رقم 18: عرض النتائج العامة حول السؤال 19

يرى غالبية الطلبة ونسبتهم 73.5% أي بعدد إجابات 133 بأن الموت في الكوارث الطبيعية

يختلف عن الموت بسبب آخر مقابل 48 إجابة بنسبة 26.5% بأن الموت في الكارثة الطبيعية لا

يختلف عن الموت بسبب آخر.

## السؤال رقم 20 - لماذا ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
27.1%	49	مفاجئ
26.0%	47	عدد الأموات
20.4%	37	الصراع الطويل
26.5%	48	بدون إجابة
100%	181	المجموع

## الجدول رقم 19: عرض النتائج العامة حول السؤال 20

سجل هذا السؤال أكبر نسبة امتناع عن الإجابة 48 أي 26.5% وهو ما يساوي تقريبا نسبة أعلى اختيار و هو بند مفاجئ أكثر من الموت بسبب آخر - 49 أي نسبة 27.1% يليه اختيار بند - عدد الأموات أكبر من الموت بسبب آخر - 47 أي نسبة 26.0% ليأتي اختيار بند - الصراع الطويل مع الموت - في الأخير ب 37 إجابة أي بنسبة 20.4%.

## السؤال رقم 21- يكون الحزن على شخص مات بسبب الكارثة الطبيعية

النسبة المئوية	العدد	البنود
55.2%	100	أكبر
33.7%	61	نفس
11.0%	20	أقل
100%	181	المجموع

## الجدول رقم 20: عرض النتائج العامة حول السؤال 21

أجابت النسبة الأكبر من الطلبة بأن -الحزن على الميت في الكارثة الطبيعية أكبر من الحزن على الميت بسبب آخر-وهي نسبة 55.2% ما يعدل 100 إجابة بينما أجاب 61 طالبا أي بنسبة 33.7% بأن- الحزن على الميت في الكارثة الطبيعية نفس الحزن على الميت بسبب آخر- واعتبر 20 طالبا - 11.0%- الحزن على الميت في الكارثة الطبيعية أقل الحزن على الميت بسبب آخر-

السؤال رقم 22- عندما يموت شخص بسبب الكارثة الطبيعية هل يعتبر:

صفة الميت	العدد	النسبة المئوية
شهيد	74	40.9%
مسخوط	07	3.9%
ميت فقط	93	51.4%
دون إجابة	07	3.9%
المجموع	181	100%

الجدول رقم 21: عرض النتائج العامة حول السؤال 22

يرى أغلب الطلبة وهم 93 أي بنسبة 51.4% أن صفة الميت في الكوارث الطبيعية هي - مبيت فقط- بينما أجاب 74 منهم أي بنسبة 40.9% أنه يعتبر-شهيد- واختار 07 منهم ما يعادل نسبة 3.9% إجابة مسخوط- وامتنع 07 -3.9% عن الإجابة.



## مناقشة النتائج العامة للمحور الرابع:

يبرز في هذا المحور ملامح تصور الطلبة للموت في الكوارث الطبيعية حيث أنهم يرون بصفة غالبية أن الموت في الكارثة الطبيعية مختلف عن الموت بسبب آخر ويرجعون ذلك إلى أنه أكثر فجائية وهي إحدى الخصائص المهمة للحدث الصدمي ( فصل الصدمة النفسية) والتي تتصف بها غالباً الكوارث الطبيعية- بصفة خاصة الزلزال الذي يرمز إلى كل الكوارث الطبيعية حسب تصور الطلبة- أي السرعة الفائقة أو البغطة وعدم التحكم في الموقف وفقدان السيطرة على الأحداث هي التي تعطينا الإحساس أن الموت مفاجئ أكثر حيث أنه ليس أكثر مفاجأة من الموت بالسكتة القلبية كما أن الموت في كارثة الجفاف أو الأوبئة لا يكون مفاجئاً. ثم أن السبب الثاني لاختلاف الموت في الكارثة عنه بسبب آخر هو كون عدد الأموات أكبر من الموت بسبب آخر هو السبب الأكثر موضوعية يليه سبب أن الموت في الكوارث الطبيعية أكثر عنفاً منه بسبب آخر فيكون الصراع مع الموت أطول وهذا ليس دائماً صحيحاً فقد يكون الموت في الحوادث المنزلية (الحرائق أو انهيار البنايات...) أو حوادث الطرقات بنفس العنف والصراع معه مماثل وذلك أن العنف والصراع هي خصائص كارثة الزلزال.

أما فيما يخص صفة الميت خلال الكارثة الطبيعية فيعتبره نسبة كبيرة من الطلبة 40.9% شهيد وهي إجابة دينية بحتة مقابل 51.4% من الطلبة لإجابة-ميت فقط- وهي الإجابة الموضوعية وذلك بسبب تأثير التصور الديني ( المحور السابق)

كما أنهم يرون أن الحزن على من مات في الكارثة الطبيعية يكون أكبر منه على من مات بسبب آخر، وهذا راجع لاعتبار أن الطريقة التي مات بها غير عادية فيصبح الحداد أطول بسبب أن الإحساس بالذنب اتجاه الميت والمصاحب للحداد يكون أكبر ومعه إحساس كبير بالعجز والفشل لعدم التمكن من إنقاذ الميت ( Montazami-Ramade in Psy §Psy )، وكذلك يتكلم كروك عن نوبان

القصة الصدمية الشخصية في المأساة الجماعية في حالات الحروب والكوارث مما يجعل من حيز تعبيرنا عن الآلام الخاصة ضيق و عدم تمكننا من تجاوز الحدث لأنه لا نحس بملكيتنا له فيصبح الحداد مرتبطا بالحداد الجماعي فيكون أطول (Crocq.1989L ص 537).

### 1-5- عرض والتعليق على النتائج العامة المحور الخامس:

المحور الخامس : يتحدث عن تصور الحياة بعد الكارثة و يخص الأسئلة 23، 24، 25 ،

.26

السؤال رقم 23- أي نتائج الكارثة الطبيعية نعتبرها أكثر ضررا ؟

البنود	العدد	النسبة المئوية
موتك	22	12.2%
فقدان أحد الأقارب	36	19.9%
إعاقة جسدية	66	36.5%
اضطراب نفسي	26	14.4%
فقدان السكن	2	1.1%
فقدان الموارد المالية	3	1.7%
تغيير مسار الحياة	26	14.4%
المجموع	181	100%

الجدول 22: عرض النتائج العامة حول السؤال 23

نلاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة من العينة 66 إجابة اختارت - بند إعاقة جسدية - بنسبة 36.5% تليها 36 إجابة لبند - فقدان أحد الأقارب - نسبة 19.9%، ثم 26 إجابة لبند - اضطراب نفسي - أي 14.4% وكذلك بند - تغيير مسار الحياة - ليأتي بند - موتك - بعدد إجابات 22 و نسبة 12.2%، ليأتي في آخر الترتيب 03 إجابات أي 1.7% لبند - فقدان الموارد المالية - و 02 إجابتين أي 1.1% لبند - فقدان السكن - .

مما يجعل ترتيب أضرار نتائج الكوارث الطبيعية حسب أغلب الطلبة كالتالي:

1. إعاقة جسدية

2. فقدان أحد الأقارب

3. اضطراب نفسي و تغيير مسار الحياة

4. الموت موتك -

5. فقدان الموارد المالية

6. فقدان السكن

السؤال رقم 24 - بعد نجاة شخص من الكارثة الطبيعية، كيف تكون تصرفاته الدينية ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
93.4%	169	أكثر تدنيا
1.1%	2	أقل تدنيا
5.5%	10	لا تتغير
100%	181	المجموع

الجدول رقم 23: عرض النتائج العامة حول السؤال 24

حسب الجدول فإن 169 طالبا أي ما يعادل نسبة 93.4% من الطلبة يرون أن الناج من الكارثة الطبيعية يصبح -أكثر تدينا- مقابل 02 طالبين فقط أجابا ب-اقل تدينا - أي نسبة 1.1% بينما يرى 10 من الطلاب أي نسبة 5.5% أن تصرفاته الدينية لا تتغير.

السؤال رقم 25- بعد نجاة شخص من الكارثة الطبيعية، كيف تكون علاقته مع الآخرين ؟

النسبة المئوية	العدد	البنود
44.8%	81	أحسن مما كانت عليه
46.9%	85	أسوأ مما كانت عليه
46.9%	15	لا تتغير
100%	181	المجموع

الجدول 24: عرض النتائج العامة حول السؤال 25

من الجدول نعرف أن نسبة الطلبة الذين يرون أن علاقة الناجي من الكوارث الطبيعية مع الآخرين تكون -أحسن مما كانت عليه- متقاربة مع نسبة الطلبة الذين أجابوا -أسوأ مما كانت عليه- 81 إجابة-44.8% مقابل 85 إجابة-46.9%، في حين رأى 15 طالبا أي نسبة 46.9% أنها -لا تتغير-.

## السؤال رقم 26- بعد نجاة شخص من الكارثة الطبيعية، كيف تكون علاقته بالحياة ؟

النسبة المئوية	العدد	البند
40.9%	74	أكثر إقبالا على الحياة
50.3%	91	أقل إقبالا على الحياة
8.8%	16	لا تتغير
100%	181	المجموع

## الجدول رقم 25: عرض النتائج العامة حول السؤال 26

حول سؤال عن علاقة الناج من الكارثة الطبيعية مع الحياة وحسب الجدول فقد نال بند -أقل إقبالا على الحياة- أكبر قدر من الإجابات بعدد 91 ونسبة 50.3% مقابل 74 إجابة -أكثر إقبالا على الحياة- أي بنسبة 40.9% بينما يرى 16 طالبا-8.8% أن علاقة الناجي من الكارثة مع الحياة -لا تتغير-.

## مناقشة النتائج العامة المحور الخامس:

يعتبر معظم الطلبة أن النتيجة الأكثر ضررا من نتائج الكوارث الطبيعية هي الإعاقة الجسدية نظرا لأن أغلب الطلبة-90.60%- هم في سن أقل من 23 سنة وهي تعتبر نهاية مرحلة المراهقة وتصورهم ناتج عن إشكالية الجسم و صورة الجسم عند المراهق والخوف من التشوهات أو التغييرات الجسدية. فحسب انزيو D.Anzieu تمثل صورة الجسم عند المراهق " سيرورة رمزية لتمثيل الحدود بحيث تلعب دور الغلاف الواقى والصورة الباعثة على الاستقرار image stabilisatrice ... خلال هذه العملية يكون الجسم -كموضوع استثمار ليبيدي- موضوعا غير قابل للمس أو للتغيير مهما كان

الثمن" ( مارسيلي وبراكوني Marcelli et Barconnier ص 132)، نظرا للتغيرات السريعة والكثيرة التي تطرأ على جسم المراهق مع التغيرات الفسيولوجية لعملية البلوغ وما يحيط بها من تغيرات نفسية -اجتماعية تظهر في فترة المراهقة الكثير من المشاكل المتعلقة بالجسم وصورته مثل: "خوف التشوهات الجسدية *dysmorphophobies* ونوبات حادة من توهم المرض *bouffées hypocondriaques aiguës* وأحاسيس الغرابة المتوالية *sentiments d'étrangeté*".

يتصور الطلبة حياة الناجي من الكوارث الطبيعية أنها تصبح أكثر تدينا وهو تصور ديني محض حيث نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتكلم على ضرورة توبة وإصلاح أعمال من نجا من الموت ومنح فرصة جديدة للحياة.

وفي نفس السياق يرون أنه يصبح أقل إقبالا على الحياة مما كان عليه من قبل وهو ما يسمى بالزهد وهو أيضا تفسير ديني وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي تنص على ذلك، كما يمكن أن يكون ذلك ناتج عن تصورهم أنه ستلازمه مخلفات الصدمة النفسية مما يجعله في حالة اكتئاب وإحساس بالذنب مزمن اتجاه من ماتوا تمنعه من التمتع والإقبال على الحياة. بينما انقسم الطلبة قسمين متساويين تقريبا في تصورهم أن علاقة الناجي من الكوارث الطبيعية بالآخرين، حيث يرى القسم الأول من الطلبة أن علاقته ستتحسن بهم بينما يرى القسم الآخر أنها سوف تسوء ربما لحالة الاكتئاب التي يعيشها أو لنقمتهم عليهم.

### 1-6- عرض والتعليق على النتائج العامة للمحور السادس:

يتمركز المحور السادس حول الكوارث الطبيعية ووسائل الإعلام كتصور الطلبة لضرورة بث أو عدم بث أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام، واختيار بين وسائل الإعلام حسب انتمائها في حالة وقوع كارثة طبيعية في الجزائر و يتضمن سؤالين 28 و 29:

السؤال 28: عند وقوع كارثة طبيعية هل ترى أن:

النسبة المئوية	العدد	البند
93.9 %	170	لا بد من بث...
6.1 %	11	لا داعي لبث...
100 %	181	المجموع

الجدول رقم 26: عرض النتائج العامة حول السؤال 28.

نلاحظ من الجدول أن النسبة الغالبة من العينة تختار بث أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام و هي نسبة 93.9 % - 170 إجابة- مقابل نسبة 6.1 % - 11 إجابة- يرفضون بث أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام، ربما يدل ذلك على رغبة في الإطلاع و الشفافية في التعرف على الأخبار.

**السؤال 29:** في حالة وقوع كارثة في الجزائر أي وسائل الاعلام تتابع أكثر:

النسبة المئوية	العدد	البنود
87.3 %	122	وطنية
12.7 %	23	غربية
18.2 %	33	عربية
1.7 %	03	بدون إجابة
100 %	181	المجموع

**الجدول رقم 27: عرض النتائج العامة حول إجابات السؤال 29**

نلاحظ في هذا الجدول أن أغلب الطلبة -87.3 % من العينة الكلية- يفضلون متابعة وسائل الأعلام الوطنية في حالة وقوع كارثة طبيعية في الجزائر، بينما انقسمت النسبة الباقية من العينة بين وسائل الإعلام الغربية والعربية مع ارتفاع نسبة المختارين للوسائل العربية بنسبة 18,2 % مقابل نسبة 12,7 % لوسائل الإعلام الغربية، وفضل 03 طلبة عدم الإجابة. وبالتالي فوسائل الإعلام الوطنية هي الأكثر متابعة من طرف الطلبة في حالة وقوع كارثة طبيعية في الجزائر.

**مناقشة النتائج العامة للمحور السادس:**

يرى معظم الطلبة ضرورة بث أخبار الكوارث الطبيعية عبر وسائل الإعلام وذلك بسبب رغبة في الإطلاع ومعرفة أخبار الكارثة الطبيعية ونتائجها، خاصة وأن الكارثة الطبيعية تعتبر حدثا استثنائيا ومثيرا نظرا لكونه مفاجئا وعنيفا ومهددا... إذ أن كل شخص ضمن سلوكياته اليومية المعتادة يخصص جزءا من سلوكه للبحث والحصول ومتابعة المعلومات -الأخبار- حول كل الأحداث وذلك



استجابة للرغبة في المعرفة ولعدم الإحساس بالعزلة و إمكانية التمتع بالنسبة لما يحدث حوله وذلك لإشباع حاجة نفسية وجدانية أكثر من مجرد حاجة أو رغبة أو حب استطلاع عقلي أو معرفي بحث، وهو ما عير عنه ( ل.كروك 1996 ص 427) حينما تحدث عن الوقع الانفعالي بث أخبار وصور الكوارث الطبيعية والحروب عبر وسائل الإعلام حيث قال أنه لا اختيار لنا في متابعة أخبار الكوارث والحروب عبر وسائل الإعلام -رغم أن ما تحمله من معلومات وصور مؤلم لنا انفعاليا- لأن متابعتها تعتبر استجابة لما سماه " حاجة نفسية وجدانية عميقة للمعرفة بنفس قدر الحاجة إلى الأكل والشرب والتنفس وضرورة حيوية لعدم الإحساس بالعزلة وإدراك العلم من حولنا". وربما يكون الألم الانفعالي والقلق المصاحب لمتابعة أخبار الكارثة الطبيعية عبر وسائل الإعلام أقوى من هذه الرغبة وإحساس الحاجة عند الطلبة-نسبة ضعيفة- الذين فضلوا عدم بث أخبار الكوارث الطبيعية.

ويقول ل.كروك واصفا تلك الأخبار أو المعلومات المنقولة عبر وسائل الإعلام: " في الحقيقة إن هذه الأخبار لا تتجه إلى الجزء العقلي Intellectuel والعقلاني Rationnel من نظام المعلومات لدى الشخص بل إلى الجزء الأكثر عاطفية من هذا النظام وهو الجزء الخيالي " ( ل.كروك 1996 ص 430). وهذا الجزء الخيالي بشقيه الخاص (من الخبرات الخاصة والتربية...) والجماعي (من التصورات الجماعية المتعلقة ب"نحن" الجماعة الوطن والثقافة) وبالتالي فإن كل حدث يهم المجتمع يفضل متابعته على وسائل إعلام وطنية وخاصة إذا كان في حجم الكارثة الطبيعية، ويؤكد أن " وسائل الإعلام تهدف الخيالي الجمعي على وجه الخصوص وما يتبعه من مخاوف ... " ( ل.كروك 1996 ص 431). كما أن ترتيب وسائل الإعلام المتبعة في حالة وقوع كارثة في الجزائر

- 1- وطنية
- 2- عربية
- 3- الغربية

يؤكد ما أورده من دور الأخبار في مساعدة الأفراد الذين يتبعونها في التمتع و التمتع اتجاه الأحداث، وفي اختيار صف من يرون العالم بطريقتنا و يشاركننا

الآراء والمشاعر والأحاسيس اتجاه ما يحيط بنا مما يمنحنا إحساس بالأمن والدعم. حيث أننا لا نتلقى فقط معلومات بل انفعالات أيضا وبقدر أكبر في حالة الأحداث المثيرة والمؤلمة مثل الكوارث الطبيعية خصوصا إذا كانت تمس مجتمعنا القريب.

كما أن الأخبار حول المآسي والآلام مهما كان ضحاياها تحدث عند متلقيها إحساسا بالتضامن والمشاركة الوجدانية ويزيد هذا الإحساس كلما كان الضحايا أقرب منا، لذا يتم اختيار وسائل الإعلام الأقرب فالأقرب لأن الصحفي ناقل الخبر خاصة إذا كان في مكان حدوث المأساة أو يتحدث إلى الضحايا هو يتكلم على لسان المتلقي وخاصة على شاشة التلفزيون-صورة وصوت- ( فالمشاهد أو المتلقي لا يقبل تعليقا على الأحداث مفرغ من العاطفة Inaffectif ) ( ل.كروك 1996 ص 438 ) لأن إلقاء الخبر وخاصة على شاشة التلفزيون يمثل عملية تفرغ وتحرير من القلق.

## ملخص

إن استجاباتنا وردود أفعالنا الفردية والجماعية في مواجهة الكوارث الطبيعية تكون مختلفة، ففي حين أن بعض هذه الاستجابات يمكن أن تقلل من التأثيرات الناجمة وتساهم في زيادة التحكم في الحدث فإن بعضها الآخر يمكن أن يعقد الوضعية الناجمة ويزيد من أضرار ونتائج الكارثة. ولترشيد هذه الاستجابات بتشجيع النوع الأول والوقاية من النوع الثاني يجدر بنا التعرف ودراسة أهم العوامل التي تحدد هذه الاستجابات وتوجهها، ومن بين هذه العوامل التصورات الاجتماعية للكوارث الطبيعية لكون التصورات تشكل خلفية لتفكيرنا ومرجعية لسلوكياتنا في مواجهة الكارثة كما في كل حياتنا.

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الوصول إلى رسم ملامح التصور الاجتماعي للكارثة الطبيعية عند الطلبة الجزائريين بجامعة عنابة: أسبابها - أهم أضرارها - إمكانية توقعها - إمكانية التحكم بنتائجها - علاقة الإنسان بها - مدى تأثير المكون الديني والعلمي في بناء هذا التصور...مدى تأثير الفروقات بين الطلبة على تصوراتهم.

قمنا خلال بحثنا بتوزيع استمارات الدراسة على عينة من طلبة جامعة عنابة عددهم 181 طالب من الجنسين، موزعين على 4 تخصصات من السنوات الأولى والرابعة، وبعد تجميع البيانات عمدنا إلى تحليلها باستعمال التكرارات والاختبار اللابارامتري ك<sup>2</sup> عبر برنامج معلوماتي إحصائي EPI INFO V(6) عن طريق الحاسوب، ثم تحليل كفي في ضوء النتائج الكمية والمعلومات النظرية.

من أهم النتائج التي وصلنا إليها أن جل الطلبة يميلون إلى اختزال الكوارث الطبيعية في كارثة الزلزال، وأن أهم ما يشغل تفكيرهم هو أضرار الكارثة ونتائجها على الإنسان. أما عن علاقة الإنسان بالكارثة فقد بدت متناقضة تظهر مرة في شكل الاستسلام التام في ما يتعلق بأسباب الكوارث الطبيعية حيث يسيطر التصور الثقافي-الديني، ومرة بشكل المبادرة فيما يخص الوقاية من الكوارث حيث تظهر القيم النظرية. كما أن تصور الطلبة للموت أنه مختلف تماما في الكارثة الطبيعية عن الموت بسبب آخر وأن على الناجين من الموت في الكارثة أن يكونوا أكثر تدبنا في مستقبل حياتهم.

أما عن مصادر المعلومات الأكثر استعمالا من طرف الطلبة حول الكارثة الطبيعية فقد كان التلفزيون هو الأهم تليه المصادر الدينية.

كما ظهر تشابه كبير في التصورات الاجتماعية للطلبة حول الكارثة الطبيعية مهما كان السن أو الجنس أو التخصص أو السنة التي يدرسون بها بسبب غلبة التصور الثقافي.

**الكلمات الأساسية:** التصورات الاجتماعية، الكوارث الطبيعية، الصدمة النفسية، الطلبة، جامعة عنابة.

**Résumé:**

Les catastrophes naturelles engendrent de multiples réactions individuelles et collectives différentes.

Certaines de ces réactions contribuent à minimiser les dégâts et renforcer le contrôle de la situation alors que d'autres peuvent bien aggraver et compliquer les conséquences.

Afin de pouvoir encourager le premier type de réactions et de prévenir le second type, nous avons à déceler et étudier les principaux facteurs qui déterminent et orientent ces réactions. Entre autre la représentation sociale de la catastrophe naturelle sachant que celle-ci alimente à la fois notre réflexion et nos comportements face à la catastrophe naturelle.

Cela nous a amené à procéder à la présente étude de la représentation social de la catastrophe naturelle chez les étudiants algériens de l'Université de Annaba: ses causes, les plus importants de ces conséquences, la possibilité de contrôler ou de minimiser les dégâts, la relation a la catastrophe, l'influence de la composante religieuse ainsi que la scientifique sur cette représentation.

Nous avons mené une enquête par questionnaire sur un échantillon de 181 étudiant de l'Université de Annaba des deux sexes répartis sur 4 spécialités entre première et quatrième année.

Après le recueil des données nous avons procédé à une analyse quantitative à l'aide d'un logiciel de statistique EPI Info V(6) ainsi qu'une analyse qualitative selon les résultats statistiques et les données théoriques.

Parmi les principaux résultats:

- les catastrophes naturelles se résument pour les étudiants au séisme, et les dégâts sur l'être humain sont les plus importants.
- Une certaine ambivalence est apparue dans la relation de l'homme à la catastrophe naturelle: soumission et culpabilité pour les cause de la catastrophe et initiative pour la prévention.
- La représentation de la mort est qu'elle est tout à fait différente de la mort par une autre cause et que les rescapés doivent être plus religieux dans leur nouvelle vie.
- La télévision est la source d'informations sur la catastrophe naturelle la plus utilisée par les étudiants suivie par les sources religieuses.
- Les représentations sociales des étudiants de la catastrophe naturelle ne diffèrent pas quelque soit le sexe, l'âge, la spécialité ou l'année universitaire.

**Mots clés:** représentation sociale, catastrophe naturelle, psychotrauma, étudiant, Université de Annaba.

**Summary :**

Our reaction encountering natural disaster could have positive as well as negative effects on results of such a situation.

Thus, in order to prevent the second kind of reactions we have to study principal factors and mechanisms which constitute a real referent for many human behaviors.

Indeed, social representation is one of these factors that guide and feed number of our thoughts and actions at the same time. It is in this way that we have conducted an enquiry around social representations of natural disaster among Algerian students of Annaba University. We tried to know, its causes, its main damages, the possibility to control or to decrease the consequences, the relation ship with the disaster and we tried also to light influence of religious and scientific components on social representations via a questioners.

We carried out a survey by questionnaire into a sample of 181 student of the University of Annaba of the two sexes distributed out of 4 specialties.

After the collection of the formations we carried out a quantitative analysis using a software of statistics EPI Info V(6) as well as a qualitative analysis according to the statistical results and theoretical formations.

And so, the principal results:

- That natural disaster is equal to an earthquake and its consequences are considered, more important among humans.
- A certain ambivalence appeared concerning the relationship with the notion of disaster: subsiding for disaster causes, and on the other side initial prevention.
- Then, signification given to death in disaster is different compared to death for another causes and survivors have to become more religious for their new life.
- Television is the main information resource used by students and then come religious resources.
- The social representations of the students of the natural disaster do not differ some is the sex, the age, the specialty or the academic year.

**Key words:** Social representations, natural disaster, psychodrama, students.